منشورات
دار قوافل للنشر



رفض الركون لولاية الحيوني

رسالة إلى السلطان المغربي محمد بن عبد الله

تأليف
الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير

تحقيق
سيد احمد احمد جد

بسم الله الرحمن الرحيم

رفض الركون لولاية الحيوني

رسالة إلى السلطان المغربي محمد بن عبد الله

المؤلف: الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير

تحقيق: سيد احمد احمد جد

الطبعة الأولى: يناير 2017

الناشر: دار قوافل للنشر

المطبعة: طوب برس - الرباط

الإيداع القانوني: 2017MO0828

ردمك: 978-9954-9641-8-7

مدخل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فإن السنوات الأخيرة عرفت توجها ملحوظا باتجاه تحقيق ما أمكن تحقيقه من مختلف الوثائق المخطوطة، وفي هذا الإطار، رأيت أن من واجبي أن أسهم في ذلك التوجه بجهد ما فاقترحتْ عليَّ زاوية الشيخ سيد المختار الموقرة تحقيق هذه الرسالة فقبلت لدوافع عديدة منها:

أهمية الرسالة كوثيقه تاريخية تسلط الضوء على منطقة مهمة، تعتبر امتدادا حضاريا لموريتانيا من جهة الشرق، وحلقة وصل بينها وبين بلاد السودان المجاور، وهي منطقة أَزَوَادْ التي كانت مسرحا في ذلك الوقت لأحداث مهمة، لها تأثيرها على تاريخنا الوطني، كما تسمح بتقدير مدى قوة أو ضعف العلاقة التي كانت قائمة يومها بين المنطقة المذكورة خاصة والصحراء وبلاد الساحل عموما مع الدولة المغربية.

زد على ذلك كله، كونها تضيء جانبا آخر مجهولا حتى اليوم من طرف الكثيرين من جوانب شخصيةٍ تعتبر رمزا وطنيا من رموز العلم والثقافة والفكر: الشيخ سيد المختار الكنتي.

لقد عُرف هذا الشيخ فقط كشخصية دينية كان لها دور عظيم في نشر الإسلام في عموم غرب إفريقيا[1] ولا إخاله قد عُرف بنفس المقدار كزعيم

[1]- انظر بول مارتي، كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت دمشق 1985، ص: 262

سياسي بسط نفوذه بشكل قوي على المنطقة ذاتها[1] وجعل من نفسه، طيلة حياته، عاملا ملطفا ومهدئا فيها، وداعيةَ أمنٍ وسلام،[2] فجاءت الرسالة لتكشف أو لتكون مناسبة للكشف عن هذا الوجه المضيء من شخصيته.

كما يمكن باستقراء بسيط لنص الوثيقة معرفة كيف أن الشناقطة لم يستسلموا للعزلة التي أوقعهم فيها وسطهم الطبيعي فكان إدراكهم العميق لتفاصيل تدفق تيار الأحداث في شمال إفريقيا وحتى أبعد من ذلك في الشرق العربي وآسيا الصغرى[3].

والرسالة، بطبيعتها كمنمنمة أدبية سنية، تحكي ببلاغة عن مدى تضلع أجدادنا الشناقطة من لغة الضاد وعلومها المختلفة، ولا تخلو مطالعتها بالتأكيد من المتعة الراقية.

وقد كنت أنهيت الاشتغال بهذا التحقيق منذ إثنى عشر عاما في انتظار الطبع، وقد عنَّ لي سنة 2012 أن أراجعه من جديد وأقوم برقانته عساه في قابل الأيام أن يجد طريقه إلى الطباعة والنشر.

---

[1] - Michel Abitbol, Toumboctou et les Arma, maisonneuve et larose 1979, P : 226

[2] - Michel Abitbol, Ibid, P : 227-228

[3] - انظر الصفحتين 35 و36 من هذا التحقيق

ترجمة المؤلف

الشيخ سيد المختار [1] الكبير بن أحمد بن أبي بكر بن سيد احمد بن سيد حبيب الله بن الوافي بن سيد اعمر الشيخ بن الشيخ سيد احمد البكاي بن الشيخ بن سيد محمد الكنتي، يرجع نسبه إلى عقبة بن نافع الفهري القرشي عن طريق جده سيد اعلي بن سيد يحيى بن سيد يحيى أيضا بن سيد عثمان بن سيد اعمر الملقب دومان بن سيد شاكر التلمساني.[2]

ولقد كان الشيخ سيد المختار شديد الورع، ومثقفا من الطراز الأول، ورجل سياسة ومصلحا وفاتحا إسلاميا كبيرا[3].

ولد في أزواد بكثيب أوغال 1730 على الأرجح وتوفي سنة 1811 عن عمر يناهز 84 سنة. فقد أبويه[4] في سن مبكرة[5] لكن جده[6] وأخويه[7] الوصيين عليه كانوا له عوضا حسنا عنهما. وهو إضافة إلى كونه قد ولد

---

[1] - اخترت أن أكتب الأسماء الشائعة في موريتانيا كما تنطق محليا لتحيل ذهنيا القارئ لأصحابها بسرعة مثل: سيد المختار بدل سيدي المختار، سيد احمد بدل سيدي احمد، سيد اعمر بدل سيدي عمرو، وهكذا...

[2] - الطرائف والتلائد تحقيق يحيى ولد سيد أحمد، ج1، ص: 16

[3] - ابول مارتي كنتة الشرقيون، م . س . ذ ، ص39

[4] - احمد بن أبي بكر وامباركة بنت بادي

[5] - توفيت امباركه وهو في سن الرابعة وتوفي احمد وهو في سن العاشرة

[6] - بادي بن الحبيب

[7] - محمد بو حامية وأبو بكر

وشب في بيئة صلاح وعلم، كانت له استعدادات فطرية كبيرة، لذلك سهل عليه الترقي بسرعة في مدارج العلم والثقافة والصلاح والورع .

أمضى عدة سنوات يجمع بين رعي القطيع ودراسة القرآن في كتاتيب الأطفال، ثم هجر الديار بمبادرة منه، ورغما عن أهله، وقصد قبائل الطوارق الزاوية[1] لدراسة العلوم الشرعية، ومنها انتقل إلى تنبكتو.

وهناك، وبعد فترة من شح الحياة وانعدام المأوى وقلة ذات اليد،[2] عثر على ضالته في شخص الشيخ سيد اعلي بن النجيب العالم الكبير ورئيس الطريقة القادرية في زمانه، وتبحر على يديه في العلوم القرآنية وفي علوم الحديث، وأكمل ذلك كله بالعلوم المساعدة خاصة العلوم اللغوية من آدابٍ ونحوٍ وبلاغةٍ وصرفٍ الخ...

وقد شملت دراسته :

أ – في مجال العلوم الشرعية: مختصر خليل والتحفة لأبن عاصم ومنابع الحق لابن النجيب وحدود الشريعة لابن عرفة والرسالة لابن أبي زيد.[3]

ب – في مجال علوم النحو: مقدمة بن آجروم، والخلاصة والكافية لابن مالك، وفريدة السيوطي[4]

---

[1]– قبيلتا كل السوق وكل حرمة انظر الطرائف و التلائد من كرمات الشيخين الوالدة والوالد مخطوط في الزاوية الشيخ سيد المختار الكنتي

[2]– الشيخ سيد محمد الخليفة الطرائف و التلائد م.س.ذ

[3]– على أستاذه سيد اعلي بن النجيب . انظر الطرائف و التلائد م .س . ذ

[4]– على يد استاذه : سيد اعلي ولد النجيب انظر الطرائف و التلائد م . س ذ

ج - في مجال علم الكلام والعلوم البيانية: ألفية السيوطي وعقود الجمان واصلها التلخيص[1]

د - في الأصول: الورقات لأبي المعالي الجويني وجمع الجوامع لابن السبكي وكافية ابن الحاجب وتنقيح الفصول وقواعد المنجوري[2]

ه - في الحديث: الصحاح الستة و"جامع الأصول" لابن الأثير، وجامع السيوطي وشفاء القاضي عياض "وكشف الغمة عن سائر الأمة" للشوكاني والترغيب والترهيب "للمنذري[3] .

و- في تفسير القرآن: تفسير الجلالين، وتفسير البغوي، و"لباب التأويل لابن الخازن، وتفسير ابن عطية، وتفسير النسفي والبيضاوي[4] .

وبعد أن أكمل تعليمه في محيطه، سافر إلى المغرب سنة 1754، وبعد أوبته تزوج من ابنتي عمه[5]. ثم أخذ يمارس نشاطه في الصحراء كمربٍ روحيٍ نشر الطريقة القادرية في معظم ربوع الصحراء وبلاد السودان، ومعلمٍ يبث العلم بدون حساب تُضرب إليه أكباد الإبل، وداعيةٍ إسلامي يقوم اعوجاج الناس ويصلح من شأنهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

[1] - على يد استاذه : سيد اعلي ولد ا النجيب انظر الطرائف و التلائد م . س ذ

[2] - على يد الاستاذ اند عبدالله الولاتي انظر الطرائف والتلائد م س ذ

[3] - على يد الاستاذ سيد اعلي ولد النجيب انظر الطرائف والتلائد م س ذ

[4] - على يد الاستاذ سيد اعلي ولد ا النجيب انظر الطرائف والتلائد م س ذ

[5] - لال عيشة بنت الشيخ سيد المختار بن سيد الأمين الأزرق ولا له آسية بنت الشيخ سيد محمد

وسياسي ومصلح اجتماعي فرض نفوذه السياسي والمعنوي من منطقة الآ[1] ومن نجيريا حتى بلاد السينغال.

وقد خلف هذا الرجل المتعدد الأبعاد آثارا متنوعة، واحدا وأربعين مؤلفا معروفا تمسح مختلف المجالات العلمية من قرآن وحديث وفقه وتصوف ولغة، إضافة إلى مئات من الفتاوى الفقهية المنظومة والمنثورة وقصائد استسقاء وأدعية ومراسلات كمراسلته هذه للسلطان العلوي محمد بن عبد الله بن مولاي اسماعيل. ومراسلته للمرتضى الزبيدي في مصر والتي منحه في إطارها شرح قصيدته التي مطلعها :

شُغِفَ الْفُؤَادُ بِحُبِّ ذَاتِ الْوَاحِدِ ... وَالسِّر أنبـا عن مُقِرٍ جاحِدِ

ويذكر عنه صاحب فتح الشكور أنه "كان رحمه الله تعالى شاعرا مفلقا وشعره كثير جدا في سائر دروب الشعر يجيء منه مجلد[2]".

وقد ارتوى من معينه الصافي جهابذة عمت شهرتهم الآفاق أمثال : الشيخ سيديا بن المختار بن الهيبة الابيري، والشيخ القاضي ولد الحاج الفغة الاجيجبي، والشيخ سيد أحمد ولد اعويسي التاكاطي، والشيخ ولد امني المجلسي، والشيخ المختار السباعي الدميسي، والشيخ أبات ولد الطالب عبد الله الإدكجملي الخ...

---

[1] – منطقة جبلية في دولة النيجر

[2] – أنظر أبي عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981ص153

التعريف بالرسالة

يبدو من نص الرسالة أن السلطان المغربي المولى محمد بن عبد الله قد أرسل كتابا إلى الشيخ سيد المختار الكبير أطلعه فيه على أنه وضع ساكنة منطقة أزواد. بما في ذلك مخيمات كنته في قبضة شخص يدعى عبد الملك الحيُوني وعند أمره و نهيه. وفي نهاية الرسالة يستفتيه عن حكم استخلاص الزكاة من اللصوص والظلمة.

وبما أن الشيخ لم يكن يحمل أي إعجاب لرئيسه المقترح بل يسفهه ويحتقره، بعث بهذه الرسالة إلى السلطان مستنكرا فيها قراره ومطالبا إياه بالعدول عنه، لكن متى بعث الشيخ بهذه الرسالة؟ وما هو هذا المدعو بالشيخ عبد الملك الحيوني والذي نفر منه المؤلف إلى هذا الحد؟ وما هي بالضبط المسؤولية المسندة إليه ؟ قبل مناقشة هذه الأسئلة، ولكي تكون للقارئ رؤية أوضح، يُستحسن أن توضع الرسالة في إطارها التاريخي.

كان الشيخ حينئذ يعيش ظاعنا بمخيمات قبيلته في ربوع أزواد في شمال منطقة منعطف نهر النيجر وعلى الطريق التجاري الرابط بين تغازة[1] وتمبكتو[2] وكانت تتحرك في هذا الفضاء بالإضافة إلى قبيلة كنته مكونات سكانية

---

[1] - ملاحة في الصحراء في منتصف المسافة بين المغرب وبلاد السودان، نقلا عن الفشتالي:

Michel Abitbol,Toumbouctou et les Arma, G.P. Maisonneuve et larose, Paris 1979, page : 244

[2]- Abderrahman 'Ben Imran ' Amir Es-sa'di, TARIKH ES-SOUDAN traduit de l'arabe par Houdas, Paris librairie d'Amérique et d'Orient A. Maisonneuve 1964, P : 104, marge : 6



أخرى عربية كالبرابيش، وزنجية، وطارقية مثل كل تادمكت و إيلمدن وكل السوق، الخ ...[1] وكانت القيادة السياسية تحتكرها أرستقراطية الرماة في تنبكتو وهم أحفاد الحملة المغربية التي أطاحت بإمبراطورية الصونغاي 1591.[2]

وإذا كانت دولة الرماة قد شهدت فترة قوة واستقرار سياسي، مكن من ازدهار اقتصادي، فقد وصلت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى درجة من الضعف لم تعد معها قادرة على أن تدافع عن مجرد بقائها[3] فضلا عن التحكم في مختلف القوى المكونة للطيف السياسي. وكانت نتيجة هذا الضعف دخول المنطقة في عهد من الصراعات السياسية والاضطرابات العسكرية[4] أدت بدورها إلى مجاعات وأوبئة[5]

ولئن كانت قبيلة كنته في حياة الشيخ سيد المختار قد لعبت دورا أكيدا في تهدئة المنطقة والحيلولة دون وصولها إلى حد الانفجار،[6] فإن الشيخ قد عجز بدون شك عن فرض سلطته بحيث تتوحد في كنفه كل القوى المتنابذة، فنفوذُه وإن كان قد حجب مختلف السلط المتقاسمة للمنطقة لم يكن قادرا على القضاء عليها.[7]

---

[1] - Michel Abitbol, TOMBOUCTOU ET LES ARMA, Maisonneuve 1979, P : 111

[2] – بول مارتي، كنتة الشرقيون، مرجع سبق ذكره، ص: 58

[3] – Michel Abitbol, op cip, P :226

[4] – ibid, P : 226

[5] – الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي ،الطرائف والتلائد مرجع سبق ذكره .

[6] – Michel Abitbol, op cip, P :226

[7] – ibid, P :226

يمكن القول إذن إن منطقة السودان كانت تعيش في تلك الفترة غيابا للسلطة السياسية المهيمنة التي تعلو وتُظِلُّ السلط القبلية والعرقية المتنافسة. وسيستمر ذلك الوضع إلى أن تسقط المنطقة في أحضان إمبراطورية ماسينا 1825-1826[1] .

ومن غير المستبعد أن يكون هذا الفراغ قد شجع السلطان محمد بن عبد الله على استغلاله لاستعادة ما ضاع من النفوذ المغربي في المنطقة لصالح تجارة القوافل التي اضطربت كثيرا نتيجة منافسة التجارة الأطلسية والفوضى التي عاشها المغرب في عهد عبد الله فكان تدخله في شؤون المنطقة على هذا النحو.

أما التاريخ الذي أُرسلت فيه الرسالة، فليس هناك ما يسمح بمعرفته تحديدا غير أن الشيخ تحدث إلى السلطان عن أحداث مثل حصار مليلية 1771[2] فإذا عرفنا أن المولى محمد بن عبد الله المستهدف بالرسالة قد توفي 1790،[3] عرفنا على الأقل أنها أرسلت في الفترة ما بين هاذين التاريخين (1771 – 1790).

أما عن عبد الملك الحيوني فلم أعثر له على ذكر فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع لكنه قد يكون حفيدا للباشا حميد بن عبد الرحمـن الحيوني (1647 – 1648) والذي تحدث عنه كاتبه عبد الرحمـن السعدي فقال : "...

---

[1] – ibid, P:235

[2]- الشيخ ابو العباس ،احمد بن خالد الناصري ، كتاب الا سنقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء 1954.

3 – خيرالدين الزركلي ، الاعلام ج 8 ، ط ه . . ، دار العلم للملايين بيروت لبنان 1992 ، ص : 241

كان نحيس السعد بخيس الجد ليس بأهل للولاية ولا له فيها أصل ولا فصل ..."[1]

وهناك احتمالان فيما يخص المسؤولية المسندة إليه، أولهما أن يكون قد انْتُدِب كمجرد موظف يشرف على نشاط ملاحة تغازة أو تاودني إحياءً لتقليد قديم لسلاطين الدولة العلوية،[2] والثاني أن يكون قد انتدب للباشوية في تنبكتو وهذا الاحتمال هو الأضعف ذلك أن سلاطين المغرب كانوا قد توقفوا عن تعيين البشواة في تنبكتو منذ 1612 وعليه فربما لا يأتي حديث الشيخ هنا عن الإمارة إلا في إطار التذكير بمسؤوليات السلطان في تعيين كبار رجال الدولة سواء في مركزها أو في الأقاليم، والله أعلم.

ومهما يكن من أمر، فلا وجود لباشا بهذا الاسم في لائحة بشواة تنبكتو،[3] زيادة على كون الفترة التي أرسلت فيها الرسالة كانت تمثل فترة شغور لهذا المنصب. فبعد الباشا باحدو بن أبي بكر بن المبارك (1767- 1775 لم ينصب خلف له إلا سنة 1794، وتمثل هذا الخلف في شخص المصطفى بن عبد الغفار التازركيني (1794 -1795).[4]

والرسالة أخيرا لم تأتي تحت عنوان معين أو على الأقل لم يرد في المخطوط ما يشير إلى ذلك، وعليه كان من المستحسن أن يُختار لها عنوانٌ مناسب يميزها عن بقية مراسلات الشيخ العديدة فرشحت ثلاثة عناوين

---

[1] - عبد الرحمن السعدي تاريخ السودان

librairie d'Amérique et d'Orient, A. Maisonneuve, 1964, P :279

[2] - Michel Abitbol, Op Cit

[3] - Michel Abitbol Op, Cit, P : 250

[4] - Ibid, P : 254

رأيت أنها تلخص محتوى المتن على نحو مرضي وعرضتها على بعض المهتمين بشأن التراث لاختيار أنسبها فوقع اختيارهم على الذي عنونتها به وهو رفض الركون لولاية الحيُوني.

التعريف بالنسخ المعتمدة

تم الاعتماد في هذا التحقيق على نسختين: الأولى موجودة الآن في الخزانة الملكية في المغرب، وقد عثرت على صورة منها في زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي في نواكشوط، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل وواضح مع أنه مضغوط وبأحرف دقيقة، ورقها من الحجم المتوسط 17.7 في 12.7سم، ويصل معدل الأسطر في الصفحة الواحدة 21 سطرا، والأسطر مستقيمة والمسافات فيما بينهما ثابتة بمعدل حوالي 8 مليمترات. وهوامشها مستقيمة من الجانبين مما يوحي أنها نسخت من طرف ناسخ محترف، وتقع في 26 صفحة. وقد جاءت بعض صفحات الصورة وأجزاء من صفحات أخرى حالكة السواد ربما للظروف الفنية للتصوير فأصبحت لذلك صعبة القراءة.

تبدأ الرسالة في منتصف الصفحة الأولى تعلوها مادة فقهية في موضوع ما يجوز وما لا يجوز في حق المساجد وتنتهي بعبارة: انتهى من أجوبة للشيخ الولي القطب السيد المختار أبي زين العابدين. وبعد هذه العبارة يأتي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: [**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم : رجل حلف الخ...**] وهو مكتوب بعد إسناده في أسطر مائلة وفي الاتجاه المعاكس لنص الرسالة وذلك ربما يدل على أن الوثيقة كانت جزء من مخطوط أشمل، والله أعلم.

أما نص الرسالة في حد ذاته فلا يتسم بوحدة الموضوع حيث أنه ينقسم إلى قسمين: قسم سياسي، رد على كتاب مذكور في النص كان السلطان قد أرسله إلى الشيخ، وقسم آخر عبارة عن فتوى للمؤلف حول شرعية أخذ الزكاة من اللصوص والظلمة.

وهذه الازدواجية في الموضوع لا تبعث كثيرا على الاطمئنان على أصالة النص على الأقل بهذا الشكل إذ يبقى من غير المستبعد أن يكون قد حصل تلفيق بين نصين لرسالتين مختلفتين، والعبارة التي اختتمت بها الرسالة والمذكورة أعلاه قد تنحو بك أكثر في هذا المنحى من التفكير.

لكنك، في المقابل، لو تأملت في السياق وخاصة قول الشيخ متخلصا من موضوعه الأول: " وأما قولك: وما حكم أخذ ذوي الجاه للزكاة من اللصوص والظلمة الخ....؟" فقد يتضاءل عندك الشك والله أعلم. ثم إنك لو فكرت في بعد المسافات بين المغرب ومنطقة أزواد، وبطء وسائل المواصلات يومئذ، عرفت أنه لا مانع يمنع السلطان من تذييل كتابه إلى الشيخ باستفتاء حول موضوع فقهي، ولا مانع يمنع هذا الأخير من تذييل رسالته الجوابية بفتواه الفقهية.

ومهما يكن من أمر، فقد اعتمدت هذه النسخة أصلا للتحقيق ورمزت لها بالحرف "ز" أما النسخة الثانية فقد عثرت عليها عند الشيخ سيد اعمر بن سيدنا وهي مكتوبة في ورق دفتر كبير الحجم من نوع: Block notes بخط واضح كبير بالمداد التقليدي مع أنها كتبت حديثا.

وقد أخبرني الشيخ سيد عمر أنها استنسخت في المغرب من النسخة بالذات الموجودة لدي مما يقلل من قيمتها. وتنتهي بتوقيع الناسخ: محمد المختار ولد سيد أب، وبتاريخ الاستنساخ 19/ 06/ 1993م وقد اعتمدت عليها في قراءة الجوانب السوداء من صفحات صورة النسخة "ز" ورمزت لها بالحرف "س".

منهج التحقيق

حاولت في هذا التحقيق التعريف بكل ما ورد من الأعلام مختصرا في ذلك ما أمكن الاختصار. وكلما وردت مفردة أو عبارة قد يعسر فهمها على القارئ وفرت عليه عناء البحث عنها بشرحها في الهامش. وفي بعض الأحيان ألجأ لإضافة كلمات بين قوسين إلى النص لتيسير تناوله مثل ما ورد في الجزء التالي[1] من حوار بين الإمام مالك وأمير المؤمنين هارون الرشيد حيث كان الجزء قبل التصرف: فقال: "إذن أذهب إليه برجلي وخيلي وغاشيتي" فقال: " لا يا أمير المؤمنين ...." فأصبح بعد التصرف: فقال (الرشيد): "إذن أذهب إليه برجلي وخيلي وغاشيتي" فقال (مالك): " لا يا أمير المؤمنين ...."

كما لجأت لتصويب إملاء بعض الكلمات الوارد خطأً في النص. وقد خرَّجت جميع الآيات القرآنية التي استشهد بها الشيخ وشكلتها، ووضعتها بين مزهرين:{ }. وكلما كان الاستشهاد مقتصرا على جزء من آية دون أجزائها الأخرى بينت ذلك بوضع نقاط ثلاث محل الجزء أو الأجزاء المحذوفة مثل: {...مِنَ الفَجْرِ ...}، بينما وضعت الأحاديث القدسية بين مزهرين:{ } دون تشكيل لتمييزها عن القرآن. وقد اجتهدت ما وسعني الاجتهاد في تخريج الأحاديث الواردة في النص ووضعتها بين معقوفين [ ]، أما ما ورد من أحاديث الأثر وغيرها فقد وضعته بين مزدوجتين"".

---

[1] – الصفحة 21 من هذا التحقيق

ولمفصلة نص الرسالة، وضعت له عناوين فرعية بين قوسين.ولا...
معانيه، وضعت علامات الترقيم فيه كالنقطة (.) والقاطعة:(،)، والفا...
(،)، والنقطتان : (:) وعلامة الاستفهام : (؟) والتعجب:(!) الخ...

ولا يسعني، قبل الختام، إلا أن أذكر - من باب العرفان بالجميل
الدور البالغ الأهمية الذي لعبته وتلعبه مكتبة العرفان الموقرة في تيسير البحث
ومساعدة الباحثين ، الدور الذي لولاه ما ظهر هذا العمل المتواضع للنور
فجزى الله أهلها والقائمين عليها عن العلم وطلابه خير جزاء.كما أعترف
بالجميل لإخوتي الكرام الذين ساعدوني في هذا العمل من قريب أو من بعيد
وأخص بالذر منهم شاعر الجماهير والذي وصفه الأديب الكبير والناقد
الدكتور عبد الكريم مرتاض الجزائري ذات يوم من أيام أمير الشعراء بقوله
"أبو شجة في اللغة حجه" وهو الشيخ ولد ببانة الملقب بأبي شجة وأخي
وصديقي الدكتور حماه الله ولد ميابى لما قاما به من مجهود - مثاب إن شاء الله
- في المراجعة اللغوية لهذا النص، كما أخص بالشكر أيضا أخي الفاضل
المصطفى بن العالم التندغي لما بذله من جهد موفق ووقت ثمين لمساعدتي في
تخريج أحاديث هذا التحقيق فجزاهم الله جميعا عني خيرا.

وفي الختام، أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذا
العمل وأتمنى أن يكون مفيدا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

سيد احمد احمد جد

نواكشوط، يونيو 2013

متن الرسالة



بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، حمدا لمن جعل دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى الساعة، والصلاة والسلام يعمان النبي وأتباعه، وحزبه وأمته ومن أطاعه، وعلى آله وأهل بيته الكرام البررة الذين أذل الله بسيوفهم وزحوفهم جماعة الكفرة الفجرة، أما بعد:

(المرسل والمرسل إليه)

فمن العلامة المسدد، بل الوارث المجدد واسطة عقد الأبرار، وقطب دائرة الأخيار، الشيخ سيد المختار[1] بن سيد احمد بن أبي بكر الكنتي الوافي[2]، إلى[3] من توسط ذُؤابة عبد مناف، واستعلى أرومة هاشم ذروة الأشراف، وبذخ في علياء خندف ذوي العدل والإنصاف، ونمى في ضنضئ[4] مضر الطافي عزهم على ساكن المدر[5] والاحقاف[1]، وبهر برهان حسبه الحسيب في

---

[1] - انظر ترجمة المؤلف الصفحة 3 من هذا التحقيق.

[2] - لا أعتقد أن الشيخ يصف نفسه بهذه الأوصاف وقد يكون ذلك من تصرف النساخ والله أعلم.

[3] - "إلى" هذه غابت في النص الأصلي فنثبتها لكون السباق يقتضيها.

[4] - يقال هو من ضنضئ معد : من أصلهم، وفي خطبة لأبي طالب : " الحمد الله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضنضئ معد وعنصر مضر " انظر : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق : الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة والطباعة والنشر 1979.

[5] - المدر : الطين العَلِك الذي لا يخالطه رمل. وتطلق مجازا على القرى، يقال ما في الوبر والمدر أحد مثله أي في البدو والقرى. وفي حديث عن النبي (ص) قال لعامر بن الطفيل: [أسلم يا

تشعب شعب معد[2] ذي العَدد والعُدد ، والفصاحة واللَّسنِ[3] واللَّددِ[4] والسداد والسؤدد،[5] زرع إسماعيل وعنصر إبراهيم وسليل النبي الأمجد سيد العالمين، خلاصة نابتٍ وَأُدَدْ[6] سيدنا وشفيعنا، من عُم باسم محمد وخُص بمبالغة اسمه أحمد، أنضر الأنبياء عودا، وأطولها عمودا، وأعلاها مجدا وأشمخ، وخيرها أصلا وأرسخ، وأرفعها ذكرا وأبذخ، من اتصلت أعراقه بأعراقه، وغشاه بنور رواقه، أمير المؤمنين سيدنا ومولانا سيد محمد[7] بن

عامر] فقال : على أن يكون لي الوبر ولك المدر . انظر : أساس البلاغة مرجع سبق ذكره والمنجد في اللغة والأعلام ط27 دار المشرق بيروت 1986.

[1]- الاحقاف : جمع حقف وهو ما اعوج من الرمل واستطال يقال : نزلنا بين قفاف وأحقاف، انظر المنجد في اللغة والأعلام مرجع سبق ذكره

[2] - معد بن عدنان : جد جاهلي تفرعت عنه قبائل عديدة أهمها إياد وأنمار ونزار ومن الأخيرة تفرعت ربيعة ومضر، انظر المنجد في اللغة والاعلام، مرجع سبق ذكره .

[3] - اللسن : الفصاحة، يقال رجل لَسِن اللسن إذا كان ذا بيان وفصاحة راجع : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج 15، دار صادر بيروت.

[4] - من لد يلد لددا واللدد الجدل، الخصومة الشديدة راجع: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج 15، دار صادر بيروت

[5] - السؤدد والسودد: كرم المنصب والقدر الرفيع، انظر المنجد، مرجع سبق ذكره .

[6] - أدد أو أدد : أبو عدنان وهو أد بن طابخة بن إياس بن مضر قال الشاعر :

أد بن طابخة أبونا فأنسبوا يوم الفخار أبا كأد تمفرو ا

انظر لسان العرب لأبن منظور مرجع سبق ذكره

[7] - احد كبار سلاطين الدولة العلوية في المغرب ولد بمكناسة الزيتون 1134هـ / 1721م وبويع له بالسلطنة 1171هـ / 1757م أعاد الاستقرار إلى بلاده في الداخل وصان حريتها بمواجهته للفرنسيين في سلا والعرائش، والاسبان في مليلية والبرتغاليين في الجديدة، وازدهر المغرب في

مولانا عبد الله[1] بن مولانا إسماعيل[2] نضر الله أيامه، ونصر أعلامه، وأمد بمدد النصر عساكره، ورعى بعين عنايته دساكره[3]، من بيض بجده واجتهاده وجه الدولة الإسلامية، وروض برياضة سياسيته رياض العلوم الإلهية، وغور[4] بغيرة تغيير المنكر مناكر الفرقة الباغية، وأصمت[5] بتصميم صميم هيبته الألسنة اللاغية، وكسر بإكاسير[6] عسجد[7] براعته فخَّار افتخار الملة الرومية بعد ما علا صرح رمادها، وبسق فرع عنادها، فتبرت[8] بحمد الله، ماعلوا تتبيرا ، ومازدتهم بالصلح إلا تدميرا[9]. ورددت كيدهم في نحورهم،

عهده وتوفي 1204هـ / 1710م انظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، ج : 8، ط: 10، دار العلم للملايين بيروت لبنان 992، ج 6، ص: 241 – 242

[1] – ولد بتافلالت 1710 وبويع له بالخلافة 1141هـ / 1728م أوكان جبارا سفاحا خلع 4 مرات وكان يعود المرة تلو الأخرى أوتوفي 1757م الأعلام مرجع سبق ذكره ج 4، ص: 72

[2] – (مولاي اسماعيل) (1642 –1727) سلطان سابق للمغرب جميع القبائل، وحارب الأتراك وحالف باي تونس وملك فرنسا، انظر المنجد في الاعلام، مرجع سبق ذكره ص: 45

[3] – الدساكر : جمع دسكرة وهي كلمة فارسية تعني القرية الكبيرة، انظر المنجد، م . س. ذ

[4] – غور : هزم، انظر المنجد في اللغة، مرجع سبق ذكره ص: 562

[5] – أصمت وصمَّت: أسكت، يقول الشاعر: إنك لا تشكو إلى مصمِّت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت انظر : المنجد في اللغة واساس البلاغة، مرجعان سبق ذكرهما ص: 435 في المنجد و258 في الأساس.

[6] – أكاسير جمع إكسير وهو في الميثولوجيا القديمة، ما يلقى على الفضة ونحوها فيحوله إلى ذهب، انظر المنجد في اللغة مرجع سبق ذكره ص: 685

[7] – العسجد : الذهب أو الجوهر، المنجد مرجع سبق ذكره ص : 505

[8] – تبر : اهلك ودمر، انظر المنجد في اللغة مرجع سبق ذكره، ص: 58

[9] – لعله يقصد بهذا الصلح المعاهدة التي ابرمها دي ابرنيون بين المغرب وفرنسا 1767 حول أمن التجارة والتي بموجبها تمتع الفرنسيون بامتيازات جمركية، انظر : شارل آندري جوليان،

فما زادهم كثرة مكرهم إلا تخسيرا[1] فصاروا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا [2]، أو كالتي تحضن بيض غيرها حتى تُصَيِّرَ الرياح بيضها رثاثا، أو كالذى يحفر بظلفه عن حتفه، أو يجلب إلى نفسه الردى بعرفه، فلما علموا، ولات حين مناص، ولا وجه إلى الفرصة والاقتناص، ولا سبيل إلى السلامة والخلاص، إلا بإعطاء الجزية وترك القصاص، جنحوا إلى الصلح على أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وأذعنوا بعد التمرد ، أنهم هم الأصغرون.

السلام مني يؤم ساحتك، ويقبل بشفتي المحبة راحتك، يشيعه الروح والريحان، وتعبق أردانه[3] بالمسك العتيق والزعفران محلى بالعقائق والعقيان،[4] متوجا باليواقيت واللآليء والمرجان.

تاريخ إفريقيا الشمالية تعريب محمد امزالي والبشير بن سلامة ط: 2 ، الدار التونسية للنشر 1983، ص: 312

[1] - التخسير : مرجع من خسر، انظر المنجد في اللغة مرجع سبق ذكره ص: 178

[2] - الأنكاث: جمع نكث وهو ما نقض من الأكسية والأخبية ليغزل ثانية، يقال حبل نكث وأنكاث، انظر المنجد في اللغة والاعلام مرجع سبق ذكره ص: 836.

[3] - الاردان : جمع ردن وهو أصل الكم أو طرف الكم الواسع انظر المنجد في اللغة مرجع سبق ذكره، ص: 256

[4] - العقيان : الذهب الخالص، انظر المنجد في اللغة مرجع سبق ذكره، ص: 521

(الواجب في حق العلم العلماء)

أما بعد فليكن في كريم علم سيدنا أنه ورد علينا كتابك العزيز، ولعل سيدنا ما نظر إليه ولا رفع به رأسا، ولولا أن ابننا وابنك السيد أبابكر التنواجيوى[1] جاء به لأيقنا أنه مختلق من دونك لأنه لم يشاكل كتب أسلافك الأكرمين التي بأيدينا لما فيها من التحية والسلام والتبجيل والإكرام وتحرير ساحتنا ومن وضعنا عليه أكنافنا من جميع الأنام، ومن جميع المطالب المخزنية بأن لا سبيل لأحد عليهم وأنهم آمنون حيثما كانوا وأينما حلوا، لا يتعرض لهم إلا من ظلم نفسه: من لدن سيد محمد الملقب أبي دميعة[2] ثم مولانا احمد الذهبي[3] إلى منتهى الدولة السعدية،[4] ثم كذلك دولة الأشراف.[5]

---

[1] - لم انجح في العثور علي معلومات عنه ولكن يظهر من خلال النص انه كان ذا ورع ومقربا من الشيخ أولعله كان احد تلامذته

[2] - ابو الحسن علي بن محمد بن الولي الصالح أبي العباس احمد بن موسي السملالي المعروف بأبي حسون وبأبي دميعة، انظر : ابا العباس احمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصي، ج:9 تحقيق الاستاذ جعفر الناصري والاستاذ محمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء 1954، الجزء الثاني ص: 60

[3] - (1549-1603) : سادس سلاطين السعديين في المغرب نودي به ملكا 1578، اشتهر بمواهبه السياسية، وطد علاقاته مع ابريطانيا واحتل السودان ولقب بالذهبي ومات بالطاعون، المنجد في الاعلام م. س.ذ. ص: 25

[4] - السعديون: سلالة من السوس حكمت المغرب 1554-1659، بذلوا جهدهم في الدفاع عن بلادهم ضد التدخل الأوروبي، اتخذوا فاسا عاصمة لهم .أشهر ملوكهم احمد بن محمد المنصور الذهبي .المنجد في الأعلام مرجعر سبق ذكره ، ص: 355

[5] - العلويون : هي السلالة الحاكمة في المغرب حتى اليوم ، أسسها مولاي الرشيد بعد انقراض دولة السعديين 1666، قضى سلاطينها على الفتن والحروب الداخلية واخضعوا البلاد لسلطة

فأول وثيقة كتبت وثيقة مولانا محمد[1] ثم مولانا مولاي الرشيد،[2] ثم مولانا إسماعيل،[3] ثم مولانا عبد الملك،[4] ثم مولانا عبد الله،[5] ثم منّ الله على العلم والعلماء بطلعتك المباركة، فكان الظن بك أجمل والرجاء فيها لديك أكمل، لقربك من العدل، واتصافك بصفات الفضل، فاعتمدنا على ذلك ظنا منا أنك تعلم ما هنالك، إذ أنت خَلَفٌ لا خَلْف[6] فحيث لم تزد في إكرامنا واحترامنا كما وجدت آباءك وأجدادك ومن تقدمهم إلى منتهى دولة الإسلام، فأعاذك الله أن تكون سببا لنقص إكرامنا واحترامنا! فهل سمعت بأحد من

مركزية مغربية، على أيامهم ازدهرت البلاد حضارة وعمرانا، انظر المنجد في الأعلام مصدر سبق ذكره ، ص:473

[1] - محمد بن محمد (الشريف) بن علي بن يوسف الحسني السجلماسي، مؤسس دولة الأشراف العلويين القائمة اليوم في المغرب الأقصي، بويع 1050هـ ، استولى على درعه، فتح فاسا ثم أخرج منها فأنصرف إلى الجنوب والشرق، ومات في آنكاد في صراع مع أخيه 1664م الأعلام ، مصدر سبق ذكره ، ص:63.

[2] - مولاي الرشيد بن الشريف بن علي (1630-1672) : سلطان المغرب، ولد في تافلالت، يعتبر مؤسس السلالة العلوية الحاكمة حتى اليوم في المغرب، استولى على فاس 1666 ثم أخضع مراكش واستقر بها، خلفه أخوه إسماعيل، انظر : المنجد في الأعلام مرجع سبق ذكره، ص: 307

[3] - انظر الهامش رقم : 47

[4] - ابن الشريف بن علي (1630-1672) استولى على السلطة بعد مقتل أخيه (1664 في الاعلام للزركلي ومات 1672م ، أنظر المنجد في الاعلام مرجع سبق ذكره ، ص: 307.

[5] - سلطان علوي مغربي بويع له 1140هـ وأطيح به من طرف العبيد في القصر ومات في سجن أخيه أحمد 1141هـ ، الأعلام للزركلي مرجع سبق ذكره ، ج:4 ، ص:156

[6] - الخلف: الولد مطلقا. ويقال هو خلف صدق لأبيه. أما الخلْف : فهو جمع خلوف وهو الرديء من القول .ويقال " سكت ألفا ونطق خلفا "

أمثالك سلط الجهلة على الزوايا القائمين بأوامر الله وسنن رسوله بأن يكونوا في قبضتهم وعند أمرهم ونهيهم؟ فإن ذلك يؤدي إلى هدم الدين من أصله، وثل قواعده.

ولقد ملئنا سرورا بأيامك لما يبلغنا من حسن سيرتك الدال على حسن سريرتك، واشتغالك بإذلال المشركين وأهل الظلم والعدوان. لأن ذلك يُعجب من في قلبه غيرة الإسلام. فلم يفجأنا إلا كتابك "...برسم خدامنا وإني جعلتكم في قبضة الشيخ عبد الملك الحيوني[1] وعند أمره ونهيه ..." فاشمأزت قلوبنا من ذلك وارتعدت منه فرائصنا لأنه وآباءه وأجداده كانوا خدام آبائنا وأجدادنا كما كانوا خدام آبائكم واجدادكم، لما يرجون من جاهنا وبركتنا واقتداء بأسلافكم الكرام في احترامنا وإكرامنا. فلما لم يبق من أيام عبد الملك يوم وعجز عن غذائه طمحت نفسه الخبيثة وآراؤه الرثيثة إلى أن يجعل له يدا يهتك بها حرماتنا، ويخرق ما سجله آباؤك من حصون حراستنا كما قال الشاعر :

طلب الأبلق العقوق فلما أعجزته أراد بيض الأنوق[2]

وأنت تعلم أن عبد الله بن عباس[3] كان يأتي أنس بن مالك [1] خادم رسول صلى الله عليه وسلم على رسم التعلم، فإذا أتاه قبَّل راحته فيقول :

---

[1] - أنظر الصفحة 7 من هذا التحقيق

[2] - العقوق: الفرس الحامل ؛ الأنوق: الرخمة ؛ والبيت مثل قديم يضرب في من يسأل الهين فلا يعطى فيسأل ما هو أعز منه، تهذيب اللغة، ط 1، 2001 ، ج9 .

[3] - هو عبد الله بن عباس المتوفي (68هـ - 687م) ابن عم النبي (ص)، لقب "حبر الأمة" حضر صفين مع علي كرم الله وجهه، كان سديد الرأي. روى الكثير من حديث الرسول (ص)، وله

"هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا " ثم يقبل أنس يده (أي يد عبد الله) ويقول : " هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا "

وإنك لتعلم أن الرشيد[2] لما بلغه أن مالكا[3] ألف الموطأ بعث إليه لينظره، فقال مالك : " أعاذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون أول خليفة أذل العلم! وإن جبريل نزل في سبعين ألفا من الملائكة من العرش إلى الفرش لأجل كلمة واحدة، وهي قوله تعالى: {...مِنَ الْفَجْرِ[4]...} فقال.

تفسير، كف بصره بآخر عمره واختار الإقامة في الطائف. المنجد في الاعلام مرجع سبق ذكره . ص:11

[1] - أبو حمزة الأنصاري، توفي (93هـ / 711م) صحابي خدم الرسول (ص) 10سنوات بايع ابن الزبير بالخلافة، وروى عنه الحديث الصحيح عمرا طويلا المنجد فى الاعلام مرجع سبق ذكره ص: 77 .

[2] - خليفة عباسي (170هـ / 786م – 193هـ / 809م) ابن المهدي تسلم العرش بعد اغتيال الهادي، حارب البيزنطيين كثيرا وأقر الأمن في المقاطعات الفارسية، اتصل بملك فرنسا شارلمان. وازدهرت في عهده التجارة والعلوم والآداب، انظر المنجد في الاعلام م.س.ذ..ص629

[3] - أبو عبد الله مالك بن انس الأصبحي (712-795م) احد الائمة الاعلام مؤسس المذهب المعروف باسمه، ولد وتوفي في المدينة له "الموطأ "والرد علي القدرية "و"الرسالة إلى الرشيد و"المدونة الكبرى "المنجد في الاعلام م.س.ذ .ص: 629

[4] - من الآية 187 من سورة البقرة: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}

(الرشيد): " إذن اذهب إليه برجلي وخيلي وغاشيتي" .فقال (مالك) : " لا يا أمير المؤمنين بل تواضع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه بلغني : [أنه ما تواضع عبد لعظمة الله إلا رفعه الله فوق قدره][1] فاذهب كسائر الناس."

فذهب إليه راجلا حتى نظر إليه فقال لمالك : "ما سميته؟" فقال له :" لم أسمه بعد، (ثم قال): سميه الموطأ لأنك توطأت إليه". وإن النصارى وإن كانوا مشركين، يعظمون رهبانهم، ويبعثون إليهم بالأموال العريضة مع ما هم عليه من التثليث والحلول والتجسيم [2] حمية، وإبقاء لشبه ملتهم الفاسدة حتى فرغوهم لما هم بصدده من ضلالهم.

فكيف لا يفعل ذلك من جعل الله لواء الملة الحنفية بيده؟ والإسلامُ، والحمد لله،لم يزد في هذه الناحية إلا ظهورا لطهارة الساحة من بدع أهل الزيغ والأهواء، وعكوف الناس على عبادة الله واتباع سنة رسوله، ولزوم الجماعة وأمن الغائلة؟ كان ذلك جبلة وعادة مستعملة لم يغيرها تقادم الدهور

---

[1] - ورد هذا الحديث في صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب 19 باختلاف في اللفظ كجزء من حديث أبي هريرة عن الرسول الله (ص) : [ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع احد لله إلا رفعه الله] .ورواه الترمذي في سننه بنفس اللفظ الوارد في صحيح مسلم تقريبا . رواه البيهقي في السنن الكبرى ، ورواه احمد : 2/ 386

[2] - التثليث عند النصارى سر وجود ثلاثة أقانيم (أي أصول) في الذات الإلهية، الأب والابن وروح القدس. أما الحلول فهو مذهب يعتقد أصحابه أن الله حال في كل شيء، وفي كل جزء من كل شيء، متحدا به حتى صار يصح أن يطلق على كل شيء انه الله تغليبا للاهوت على الناسوت. وأما التجسيم فهو القول بأن الله جسم، انظر المنجد في اللغة مرجع سبق ذكره ص: 73و147و933.

تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم: **[لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله]**[1] ولعل عبد الملك جاء بنبإ بخلاف ما عليه الأمر طلبا لغرضه الفاسد حتى أمرت بالكاتب، فأملى على الكاتب ما لا يجوز في حق أمير المؤمنين الأمر به. كقضية الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط [2] ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى خزاعة[3] وكان بينه وبينهم ذُحُولٌ [4] جاهلية، فلما قرب منهم تلقوه بالجزر فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " إن القوم أرادوا أن يقتلوني ففررت منهم وأتيتك " فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزوهم فكذب الله الوليد بقوله : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}** [5] فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوهم حتى قدم إليه وفدهم، فقالوا: " والله يا رسول الله إنه لأحب إلينا من بعضنا كونه رسولك وما خرجنا إليه إلا فرحا بقدومه وتعظيما لشأنه، فما لنا

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام الباب 10 :[لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون]. ورواه مسلم الإمارة 53 بخلاف يسير والترمذي الفتن 27، وابن ماجة المقدمة 1، وأحمد بألفاظ مختلفة 3/ 436

[2] - توفي 61 هـ أخو عثمان لأمه، أسلم يوم فتح مكة، تولى الصدقات ثم الكوفة، عزل لاتهامه بشرب الخمر، رثى عثمان لكنه اعتزل الفتنة ومات بالرقة، انظر المنجد في الأعلام مرجع سبق ذكره ص:743- 744

[3] - قبيلة ذات أصل يمني حلت بمكة وانتزعت سدانة الكعبة من جرهم وظلت بيدها إلى أن انتزعها قصي لقريش، وأجليت خزاعة عن مكة .انظر المنجد في الأعلام مرجع سبق ذكره ص:269

[4] - ذحول جمع ذحل أي الثأر ـ انظر أساس البلاغة مصدر سبق ذكره، ص: 127

[5]- الآية 6 من سورة الحجرات

ولذحول الجاهلية وقد أكرمنا الله بالإسلام" فتلى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الآية، وأخبرهم أنه صدقهم قبل قدومهم.

وهذا تنبيه لأمير المؤمنين أنه ربما زور له عبد الملك، ووصفنا له بغير ما نحن عليه، فأتيته بالمثال ليقتدي بصالح سلفه في الرجوع إلى الحق بعد ظهوره، وإكرام مستحقي الكرامة إذا حمله واشٍ على التقصير في حقهم أو الإغماض عن منصبهم. فإن الله يقول: {**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**} [1] والسيئة تولية الأشرار على الأخيار وتسلطهم عليهم، والحسنة إكرام الأخيار واحترام الأبرار، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : [**إذا غضب الله على بلدة كثرت أخطارها، وقلت أشجارها، وغلت أسعارها، وغلب خيارَها أشرارُها**][2]

واعلم أيها الأمير أن الأمراء يستمدون من العلماء، وأن العلماء يستمدون من الرسل، وأن الرسل يستمدون من المقربين، وأن المقربين يستمدون من اللوح المحفوظ، وأن اللوح المحفوظ يستمد من القلم، وأن القلم يستمد من النور، وأن النور يستمد من نقطة العلم، وأن نقطة العلم تستمد من الشكلة، وأن الشكلة تستمد من علم الذات القديم المحيط بذرات العالم.

---

[1] - الآية 96 من سورة المؤمنين

[2] -لم أنجح في العثور على الحديث بهذا اللفظ لكن عثرت على حديث بمعناه ويقاربه في اللفظ في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم 1837: [**إن الله عز وجل إذا غضب على أمة لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها ، وقصرت أعمارها، ولم تغزر أنهارها، وسلط عليها شرارها**] قال الألباني: " ضعيف جدا، رواه الديلمي في مسنده 1/ 224: وابن عساكر(9/ 67/ 2) عن علي بن أبي طالب "

فكل مقام من هذه المقامات الجليلة لا يتم إلا باتصال المدد من المقام الذي فوقه، ولا يتم المدد إلا بالتعظيم، إذ على قدر التعظيم يقع الانتفاع، يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمع خشخشة جبريل وهو في السماء فيطرق، ويشخص ببصره ويتهيأ للقاء جبريل إقبالا على أمر الله، وإعظاما لمعلم الخير، فكذلك يجب على الأمراء تعظيم العلماء لأنهم الوسائط بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم عين مددهم المفاض عليهم من المشكاة النبوية.

فمنزلة علماء الأمة من أمرائها كمنزلة أنبياء بني إسرائيل من ملوكهم، فكانت أنبياء بني إسرائيل يسددون الملوك بما يأتيهم من خبر السماء، وكانت الملوك تسوس الرعية وتباشر الحروب. فإذا دهم الملوك أمرٌ غالبٌ استغاثوا بأنبيائهم فيسألون الله فيفرج ما بهم، ولم يجمع الله الملك والنبوة لنبي من بني إسرائيل إلا لداوود[1] وابنه سليمان[2] عليهما السلام.

وأما يوشع وكالب [3] فكانا نقيبين فصارا خليفتين من بعد موسى، وكانا يعملان بها في التوراة كسائر أنبياء بني إسرائيل؛ إلا أن يوشع كان يوحى إليه بالكلمة، وبالشيء اليسير من أمر حروبه.

---

[1] - ابن يسى والد سليمان الحكيم واحد أجداد السيد المسيح، ثاني ملوك اليهود، أسس مملكة يهوذا ووطد أركانها. أنظر المنجد في الأعلام م. س.ذ ص: 181-182

[2] - ملك اسرائيل نحو 970 -935 ق م وهو ابن داود بلغت مملكته أوج مجدها شيد هيكل أورشليم واتصف برجاحة عقله حتى دعي الحكيم. انظر المرجع نفسه ص: 364

[3] - ملك يهوذا 640-609 ق م، حارب عبادة الأوثان وجدد الهيكل. وأقام إصلاحا عميقا في الدين والشريعة. انظر المرجع نفسه ص: 756 أما كالب فهو إسم عبري معناه "مستقيم" وهنا

فلما فتح الله لهم الأقاليم ببركة أنبيائهم، وطاعة الملوك للأنبياء واستعمالهم شرائع التوراة طغوا وبغوا، وكثرت فيهم الأحداث حتى أفضى بهم ذلك إلى قتل الأنبياء، فسلط الله عليهم بختنصر،[1] ثم بقية العماليق[2] ثم الروم، ثم استأصل رسول الله صلى الله عليه وسلم شأفتهم[3] وضرب الجزية على من بقي منهم، فلم يبق على أديم الأرض يهودي إلا وقد ضربت الجزية على رقبته جزاءً وفاقًا؛ لأنهم أذلوا حزب الله بقوتهم التي هي من محض فضل الله، عمهم بالذل والصغار ليعلمهم أنه أقدر عليهم منهم على أوليائه.

وقال عليه الصلاة والسلام :[علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل][4] علما وحكما، علما: بوجوب الطاعة؛ وحكما: بوجوب الاحترام وقال صلى الله

كالب بن يوقنا ثالث ملوك بني إسرائيل بعد موسى، أنظر كتاب الآثار الواردة عن السلف في اليهود لكاتبه يوسف بن حمود الحوشان، 1424هـ، ص 72.

[1] - بوختنصر : ملك بابل 605-562 ق.م ورد ذكره في الكتاب المقدس. احتل فلسطين وخرب أورشيلم وسبى اليهود 586 ق م أنظر الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، ط 2، بيروت 1976، ص: 348

[2] - شعب جنوبي فلسطين. حاربه العبرانيون منذ دخولهم المنطقة حتى أيام الملك حزقيا 816-687 ق م انظر المنجد في الاعلام م، س، ذ ص: 370

[3] - الشأفة : الأصل، واستأصل شأفته: أزاله من أصله. المنجد في اللغة م، م، ذ، ص: 370

[4] - أورده العجلوني في كشف الخلفاء 2/ 64 : [علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل] وقال : قال السيوطي في الدرر : لا أصل له . وقال في المقاصد: قال شيخنا يعني ابن حجر : لا أصل له وقبله الدميري والزركشي.

عليه وسلم : [أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل][1]وقال صلى الله عليه وسلم :[صلاح بني إسرائيل بأنبيائهم وصلاح أمتي بعلمائها].[2]

ثم إنه لما أراد الله الانتقام من بني إسرائيل سلطهم على أنبيائهم، وكذلك إذا أراد الله الانتقام من هذه الأمة سلطها على صلحائها فينتقم الله منهم كما وقع ذلك في أواخر دولة بني أمية[3] وآخر دولة بني العباس،[4] ومعظم ذلك كان على يد الحجاج،[5] وابن زياد،[1] وأبي مسلم الخراساني.[2] وبن أبي داود،[3] الذي أمر المأمون،[4] بحمل الناس على القول بخلق القرآن.

---

[1] - أورده علاء الدين الهندي في كنز العمال تحت رقم 31080 كجزء من حديث أطول وذكر وروده في الكبير للطبراني عن ابن مسعود

[2] - لم أتمكن من العثور على تخريج لهذا الحديث

[3] - بدأت هذه الدولة 41 هـ / 661 م وانتهت 132هـ / 750 م وكانت دمشق عاصمة لها، وكان من أهم خلفائها مؤسسها الأول معاوية بن أبي سفيان ومؤسسها الثاني عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز، انظر المنجد في الأعلام مرجع سبق ذكره، ص: 68-69.

[4]- بدأت الدولة العباسية سنة 750 وانتهت 1258 وعدت 37 خليفة من أعظمهم المنصور وهارون الرشيد وابنه المأمون، بلغت الإمبراطورية الإسلامية في عهدهم أوجها. وكانت عاصمتها بغداد أنظر المنجد في الأعلام مرجع سبق ذكرها ص :447 .

[5] - ابن يوسف الثقفي توفي 95 / 714 م، قائد وخطيب عربي، ولد في الطائف واشتهر بولائه للبيت الأموي، ولاه عبد الملك بن مروان إمرة جيشه فقضى على ابن الزبير وابن الأشعث وتولى مكة والمدينة والطائف والعراق، أسس مدينة واسط في العراق وبها توفي. قضى على الخوارج وعني بشؤون الري والإصلاح النقدي، كما اشتهر بالخطابة وبالشدة في الحكم، انظر المرجع نفسه ص: 229

فأما بنو أمية فسلط الله عليهم عبد الله السفاح[5] من أهل خراسان،[6] وبقيت بعدهم الأمة حتى قتل المقتدرُ[7] الحلاجَ[8] فسلط الله عليهم

---

[1] - عبيد الله بن زياد، عامل الأمويين على العراق، اعتقل مسلم بن عقيل وقتله، اصطدم جيشه بأنصار الحسين بن علي فكان يوم كربلاء، مات في معركة الخازر بينه وبين إبراهيم بن مالك لأشتر. انظر المنجد في الأعلام ص: 455

[2] - أحد أقطاب الحركة العباسية التي أطاحت بالأمويين وقائد فذ احتل باسم العباسيين مرو والكوفة، قتله المنصور، انظر المنجد في الأعلام ص: 18.

[3] - قاضي المعتزلة قربه المأمون واستشاره المعتصم وجعله " قاضي القضاة " توفي احمد بن أبي داود 240هـ/ 854م، انظر المنجد في الأعلام ص: 25

[4] - عبد الله بن هارون الرشيد (170- 218هـ) الخليفة العباسي السابع اهتم بالثقافة والأدب والفلسفة والعلوم، انظر المنجد في الأعلام ،ص :424

[5]- عبد الله بن محمد أبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين 132هـ/ 750 - 136/ 754. قاد الثورة ضد الأمويين بعد وفاة أخيه إبراهيم 748. بويع له بالخلافة في مسجد الكوفة. أمر بإبادة الأمويين. وانتصرت جيوشه على مروان الثاني في معركة الزاب اتخذ الانبهار عاصمة له فدعيت بالهاشمية. وتوفي بالجدري . انظر المنجد في الأعلام م. س.ذ ص: 357

[6]- بلاد قديمة في آسيا بين نهر اموداريا شمالا وشرقا، وجبال هندوكوش جنوبا ومناطق فارس غربا. انظر المنجد في الأعلام م. س.ذ، ص: 267

[7] - المقتدر بالله (جعفر بن أحمد المعتضد) الخليفة العباسي الثامن عشر (295هـ / 908م - 320هـ/ 932م) ولد في بغداد 282هـ / 895م .خلف أخاه المكتفي وهو في الثالثة عشر من العمر. عزل ثم أعاده مؤنس فخلع عليه لقب " أمير الأمراء " حاول القضاء على نفوذ مؤنس فقتل في معركة معه، انظر المنجد في الأعلام م.س.ذ ص:679

[8]- الحسين بن منصور أبو مغيث البيضاوي توفي 309هـ / 922م فيلسوف صوفي ، قضى سنوات في خلوات الصوفية لاسيما مع التستري وجنيد ثم طاف البلدان داعيا إلى الزهد ، اتهم بالزندقة والقول بالحلول فحكم عليه وسجن ثم عذب وصلب، انشأ مذهبا في التصوف

التتر[1] فأفنوا[2] الأمة وقُتل[3] خليفةُ الوقت[4] في أمور تقشعر من ذكرها الجلود حتى قيل : إن الدهر لم يأت بواقعة مثلها. ثم بعد ذلك واقعة القرامطة[5]

وهدمهم البيت وذهابهم بالحجر الأسود إلى العراق، وتيمورلنك،[6] إلى غير ذلك من الوقائع العظام.

فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، فاستوص أيها الأمير بمن شممت فيه رائحة الإسلام، وذلك بأن لا تولي عليهم من يطلب الولاية لقوله صلى الله عليه وسلم: [إنا لا نستعمل على عملنا من أراده.][7] والسر فيه أن الولاية

وأثار حوله الجدل فقدسه البعض وكفره البعض الآخر ، انظر المنجد في الأعلام م.س.ذ ص: 240

[1]- قبائل كانت تسكن في أواسط آسيا والمغول جزء منهم، انظر المنجد م.س.ذ ص: 183

[2]-"فأفني "في "ز" والمناسب أفنوا، والله اعلم.

[3] - "وقتل" في "ز" والمناسب : "وقتلوا"، والله اعلم

[4] - المستعصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، انظر المنجد في الأعلام م.س.ذ ص: 660

[5] - حركة دينية سياسية اجتماعية لا تزال حقيقتها على كثير من الغموض لانقراض أتباعها. ظهرت قوية في البحرين ثم سيطرت على كثير من البلدان الإسلامية، استولوا على مكة 930م ونقلوا منها الحجر الأسود ثم ردوه بعد اثنتين وعشرين سنة. وانتهي أمرهم على يد الأمراء العيونيين 1027 . انظر المنجد في الأعلام م . س . ذ ص: 547

[6] - تمرلنك «ز» وهو تيمورلنك الملقب الأعرج (1336 -1405) ملك المغول، وحفيد جنكيزخان. فتح خوارزم و قشغر وفارس وسورية ومصر. وخرب بغداد 1386، وأحتل موسكو، أنظر المنجد في الأعلام م.س.ذ، ص 200

[7] - رواه البخاري الإجازة 1 « لن – أو لا – نستعمل على علمنا من أراده » ورواه مسلم الإمارة 3: [إنا والله! لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه]. ورواه أحمد / 409 : [إن- أو لا- نستعمل على عملنا من أراده...]

أمانة، وتصرف في أرواح الخلائق وأموالهم والتسرع إلى الأمانة دليل على الخيانة، وإنما يخطبها من يريد أكلها. ومن ائتمن خائنا على موضع الأمانات كان كمن استرعى الذئب الغنم. ومن هذه الخصلة تفسد الرعايا على ملوكها، لأنه إذا استهضمت حقوقهم وأكلت أموالهم، فسدت نياتهم، فأطلقوا ألسنتهم بالدعاء فيقع عليهم قول الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيــف إذا الرعاة لها ذئاب

وإذا خان أهل الأمانات وفسد أهل الولايات كان الأمر كما قيل:

بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح إن حلت به الغير.

وأنشدوا :

ذئــب تراه مـصليا فإذا مررت بـه ركـع

يدعو وجل دعـائـه ما للفريسة لا تـقـع؟

عجل بها يا ذا العلى إن الفؤاد قد أنصدع

ومن أشراط الساعة التصدي للأمانة. ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [من أشراط الساعة أن تكون الولاية مغنما والزكاة مغرما][1]. فحينئذ يدعوا عليه الضعيف وأهل الصلاح، ويقعد له الشرير بالمرصاد، ويقوم عليه القوي، ويقبح (الثّناء عليه)[2] عند الجماعة، ويتمنوا الراحة منه، وتنظر الرعية فيمن يصلح لهم سواه..

---

[1] - لم أتمكن من تخريج هذا الحديث

[2] - "ثناءه" في "ز" ولعل : (الثناء عليه" أنسب للسياق.

[فضائل السلطان العادل]

وأنا أريد أن أسترك بذكر فضائل ما أنت فيه إن سددت وقاربت. قال تعالى: {...وَلَوْلا دِفاعُ اللهِ النَّاسَ...}[1] الآية، يعني: لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الأرض فيدفع به القويَ عن الضعيف، وينتصر للمظلوم من الظالم، لأهلك القويُ الضعيفَ، ولتواثب الخلق بعضهم على بعض: فلا ينتظم لهم حال، ولا يستقر لهم قرار، فتفسد الأرض ومن عليها.

ثم امتن اللهُ على الخلق بإقامة السلطان فقال: {... وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}،[2] يعني: في إقامة السلطان ليكون فضله على الظالم: كفُّ يده، وفضله على المظلوم كف يدِ الظالم عنه، وأمانه. روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [**ثلاثة لا ترد لهم دعوة: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، والمظلوم**][3]. ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [**سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل الخ...**][4]

---

[1] - من الآية 249 من سورة البقرة

[2] - - من الآية 249 من سورة البقرة

[3] - أورده الترمذي في سننه : الجنة 2 مع اختلاف وزيادة: [**ثلاثة لا ترد لهم دعوة: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام. و تفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب عز وجل: {وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين}**]. وقال قال أبو عيسى: هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي، وليس هو عندي بمتصل، وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدلة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

[4] - رواه البخاري: الأذان 36، ومسلم الزكاة 30، والترمذي: السنن، الزهد 53، البيهقي السنن الكبرى، أهل البغي باب فضل الإمام العادل ج 8/ 162

وروى كثير بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [إن السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر][1]. وروى أبو هريرة يرفعه: [لعمل العامل العدل في رعيته يوما، أفضل من عبادة العابد في أهله مائة سنة][2]. وقال قيس بن سعيد[3] " ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل في بيته سبعين سنة". وقال مسروق[4]: "لان أقضي يوما بالحق أحب إلي من أن أغزو في سبيل الله سنة".

ويتضح لك صحة هذه الأحاديث إذا وقعت على ما نالته الرعية بصلاح السلطان، لأن الإنسان أعز جواهر الدنيا، وأعلاها قدرا، وأشرفها منزلة، ثم إن بالسلطان، صلاح الإنسان، فيصير بذلك أعز أعلاق العالم، وأعمها بركة؛ لأن العالم بأسره داران: دار الدنيا، ودار الآخرة. ثم كان بالسلطان العادل صلاح الدارين، فَأَخْلِقْ بشخص يعم نفعه العباد والبلاد،

---

[1] - رواه البخاري: الزكاة 16، ومسلم: الزكاة 30، و الترمذي: الزهد 53، النسائ: القضاة 2، كما رواه ابن ماجة

[2] - لم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ لكن الألباني أورد في سلسلة الأحاديث الضعيفة حديثا بمعناه رقم: 1595: [يوم من إمام عادل أفضل من عبادة الرجل في بيته ستين سنة، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاما] وقال ضعيف أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(3\140\2) عن ابن عباس.

[3] - لعله قيس ابن سعد بن عبادة (ت 60ه\ 680م)، صحابي أنصاري خزرجي من الولاة. حمل راية الأنصار مع النبي وصحب عليا في خلافته فأستعمله على مصر، توفي في المدينة. أنظر المنجد في الأعلام م. س\ص: 559

[4] - مسروق بن الأجدع بن مالك الهمذاني الوادعي تابعي ثقة (ت 63ه\ 683م) خير الدين الزركلي، الأعلام م، س، 7\215

وتصلح بصلاحه الدنيا والآخرة، أن يكون شرفه عند الله عظيما، كما كان قدره في العقول جسيما، ومقامه عند الله كريما، كما كان نفعه في البلاد عميما. وعلى قدر المنفعة شرف الأعمال، وعلى قدر المنة تكون النعماء.

أما ترى أن الأنبياء عليهم السلام أعم خلق الله نفعا؟ فهم أجل خلق الله قدرا. لأنهم تعاطوا صلاح الخلائق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور. وكذلك السلطان في الأرض فهو خليفة النبيين في صلاحهم، ودعائهم إلى عبادة الله، وإقامة الدين، وتقويم أودهم. وليس فوق مرتبة الإمام العادل منزلة إلا نبي مرسل أو ملَك مقرب. قال تعالى: {... وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ... }[1]وهم علماء الحق وولاة العدل؛ وليس لله سلطان في الأرض إلا وقد أخذ عليه شرائط العدل، ومواثيق الإنصاف وشرائع الإحسان. قال تعالى: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }[2]. وقال تعالى: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ... }[3]. وقال تعالى: { وَإِذْ إِبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[4]، وقال: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[5]. فبان بهذا أن الملوك الخونة لا عهد لهم ولا طاعة، وأنهم معزولون بحكم الحقيقة. قال رسول الله صلى

---

[1] - الآية 59 من سورة النساء

[2] - الآية 22 من سورة محمد

[3] - الآية 41 من سورة الحج

[4] - الآية 124 من سورة البقرة

[5] - الآية 105 من سورة الأنبياء

الله عليه وسلم: [**أطيعوا قريشا ما أطاعوا الله، فإذا عصوه فاجعلوا سيوفكم على عواتقهم، فأبيدوا خضراءهم إلا أنَّ غَزْوَ المشركين يكون مع كل بر فاجر[1]. لكنكم كما تكونون يولى عليكم**][2].

وقال [**خيار قريش أمراء خيار الناس وأشرار قريش أمراء أشرارها**].[3] وقال لأبي ذر[4]: [**أسمع وأطع ولو عبدا حبشيا ما لم ترى كفرا بواحا**][5]. فالعدل هو روح الملك لأن السلطان إذا عدل أنتشر العدل في رعيته، فأقاموا الوزن بالقسط، وتعاطوا الحق فيما بينهم، ولزموا قوانين العدل، فمات الباطل، وذهب رسم الجور بانتشار قوانين الحق، فرضي الله برضاء عياله. وإقامة دينه، والوقوف عند حدوده، فأمر السماء فأرسلت ودقها، وأمر الأرض فأخرجت من بركاتها، فكثرت أنعامهم، ونمت وأينعت أشجارهم وزرعهم، فزكت ونمت تجارتهم، ورخصت أسعارهم، واتسعت دارهم، وجرت بالخيرات أنهارهم، وامتلأت أوعيتهم، واطمأنت أنديتهم.

---

[1] - "مع كل بر وفاجر" في النسخة «ز»

[2] - رواه أحمد بصيغة مختلفة في المسند 5\277، ورواه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة تحت رقم: 1643

[3] - لم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ، لكن هنالك أحاديث صحاح بمعناه منها: [**الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم**] رواه البخاري عن قتيبة، ورواه مسلم عن القعني. وهنالك أيضا: [**الناس تبع لقريش في الخير و الشر**] رواه مسلم من حديث روح عن أبي جريج

[4] - أبو ذر الغفاري (ت 32هـ\652م) صحابي جليل. المنجد في الأعلام م. س: 15

[5] - رواه البخاري: الأذان 56 عن أبي ذر باختلاف في اللفظ و نصه: [**أسمع و أطع و لو لحبشي كأن رأسه زبيبه**]. و رواه مسلم: الإمارة 8 عن أبي ذر قال: [**إن خليلي أوصاني أن أسمع و أطيع و إن كان عبدا مجدع الأطراف**] وفي رواية أخرى [... **عبدا حبشيا مجدع الأطراف**].

فسمح البخيل البرم، وسمن الفصيل والهرم، وأفضل الكريم، وأنتعش العديم، وقضيت الحقوق، واضمحلت القطيعة والعقوق، وأخصب العيش، وزالت الشحناء والطيش، وذهبت الفظاظة، وانعدمت الغضاضة، وأنتشر التهادي في القاطن والبادي، وقل التعادي، وهانت لديهم شهواتهم، وقدموا لمعادهم نفائس أزوادهم، وتفرغ لعبادة ربه العابد، وقوي على التعليم المريد المجاهد.

فهذا كله مكتوب في ديوان حسناتك مع ما أنت عامله من مقاساتك الأمورَ ومعاناتك فضلا عن صومك، وصلاتك، وحجك، وزكاتك، وجدك في غزوك وجهادك، ونظرك للأمة واجتهادك.

[مساوئ السلطان الجائر]

وإذا جار السلطان، أعاذك الله من ذلك، أنتشر الجور في البلاد، وعم العباد، فرقت أديانهم، وتغيرت أبدانهم، وقست قلوبهم، وظهرت عيوبهم، وكثرت ذنوبهم، وشاع الكذب وفشا العقوق، واتسعت الخروق، وقلت الرتوق، وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، فلا ينصر لهم جيش، ولا يطيب لهم عيش، كثيرهم قليل، وعزيزهم ذليل، يخاف البر[1] التقي النقي، ويأمن الغشوم الظلوم والفاجر الشقي، يتعاطون الباطل، ولا يعنفون الألد المماطل.

فرفعت عنهم البركة، فأمسكت السماء غيثها، ولم تخرج الأرض ربيعها ونباتها، وقل في أيديهم الحطام، وأعوزتهم المنافع وعز الطعام، فأمسكوا الموجود، وحزنوا على المفقود، فأمسكوا الزكاة، وداهنوا الولاة، وقبضوا أيديهم على المكارم وتهاونوا بالمحارم، فأكلوا الربا، وتعاملوا على الحبا[2] وتنازعوا القليل التافه، وتجاذبوا الخسيس المتشابه، ففشت فيهم البدع، والإيمان الفاجرة والخدع، فلا يمنعهم من السرقة إلا العار، يظل أحدهم عاريا من محاسن دينه، متجردا من جلباب مروآته، أكثر هماته دنياه. لا بقليل يقنع، ولا بكثير يشبع.

ومن كان كذلك، فبطن الأرض خير له من ظهرها: قال الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ... }[3] قال صلى الله عليه وسلم: [ما طفف قوم الميزان

---

[1] - البري "في نص "ز".

[2] - الحبا: السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض. المنجد في اللغة م.س.ذ، ص: 115

[3] - من الآية 66 من سورة المائدة

والمكيال إلا وابتلاهم الله بغلاء الأسعار، وما جار ولاة الأمر إلا كانت الدولة للعدو، وما ضيع قوم أحكام الله وحدوده إلا وابتلاهم الله بالقحط، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا عمهم الله بعذاب من عنده، وما فشا ولد الخبيث في قرية إلا جرد عليهم السيف، وما تهاون قوم بالدين إلا ووقع عليهم الهوان، ونفاهم الزمان نفي الذبان [1]][2] .

وقال صلى الله عليه وسلم: [إذا عظمت أمتي الدنيا رفعت عنها هيبة الوحي، وإذا لم يتناهوا عن منكر فعلوه، رفعت عنهم هيبة الإسلام، وإذا تسابوا وتهاجوا سقطوا من عين الله][3]

وقال صلى الله عليه وسلم: [إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم! فأعلم أن أمرها قد رق، وفي رواية: فتودع منها][4] .

---

[1] - الذبّان: الذابل من عطش ونحوه أنظر المنجد في اللغة م.س/ص: 232

[2] - لم أتمكن من تخريج هذا الحديث

[3] - رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): [إذا عظمت أمتي الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت من بركة الوحي، وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله]. وورد في كشف الخلفاء للعجلوني: [إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم، نزعت منها هيبة الإسلام وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت من بركة الوحي].

[4] - رواه الحاكم في المستدرك بلفظ قريب من هذا: [إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم فقد تودع منهم]. وقال هذا حديث صحيح الإسناد. ورواه أحمد 2\190: [إذا رأيت أمتي لا تقول للظالم منهم أنت الظالم! فقد تودع منهم]

(منزلة السلطان العادل المتأخر)

وأنت أعزك الله إن زدت في عدلك كنت بمنزلة أحد الخلفاء الأربعة؛ بل أرجو أن تكون أفضل. يُرْوَي أن بعض الصالحين رأى عمر بن عبد العزيز في المنام، فإذا هو أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيخين. فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم قربت عمر بن عبد العزيز عن الشيخين؟ " فقال "لأنهما عملا بالحق في زمن الحق وهو عمل بالحق في زمن الباطل، ولذلك قربته ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [المستمسك بالسنة عند فساد الأمة له أجر مائة شهيد. قالوا: منا أو منهم؟ قال: بل منكم][1]. وقال صلى الله عليه وسلم: [ليدركن المسيح بن مريم أقوام هم مثلكم أو خير منكم][2].

وقال: [و خير هذه الأمة أولها وآخرها وبين ذلك نهج أعوج ما أنا منهم ولا هم مني][3]. ويروى أن ابن الماجشون[1] غمره البحر فأغمي عليه

---

[1] - رواه أبو نعيم بلفظ متشابه: [المستمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد] وقال: غريب من حديث عبد العزيز عن عطاء. ورواه ابن أبي فحيح عن ابن فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: [له أجر مائة شهيد]. وقال الألباني: ضعيف.

[2] - رواه ابن حجر في فتح الباري عن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن ابن نفير، أحد التابعين. وقال: بإسناد حسن، ونصه: [ليدركن المسيح أقواما إنهم لمثلكم أو خير-ثلاثا- و لن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها.]

[3] - رواه أبو نعيم بخلاف يسير: [خير هذه الأمة أولها وآخرها، أولها فيهم رسول الله (ص) وآخرها فيهم عيسى بن مريم، وبين ذلك نهج ليس منك لست منهم]

ثلاثة أيام، كلما أرادوا غسله وجدوا فيه عرقا ينعر، فلما أفاق، قص عليهم أمورا من جملتها: أنه رأى عمر بن عبد العزيز على الهيئة الماضية فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال للأول.

فاجهد أن تكون مثله فإن المهدي العباسي[2] لما سار بسيرة السلف، فكسر المعازف، وأبطل الخمور، وقيل له في ذلك، فقال: [إني لأستحي من ربي أن لا يكون في بني العباس خليفة مثل عمر بن عبد العزيز].

واعلم يا أمير المؤمنين! أن السلطان كالدواء طعمه مر، ونفعه ظاهر، ولا يخلو من مضار. فاللبيب يقيس بين مضاره ومنافعه. فإن كانت منافعه أكثر فهو ولي عدل، وهو السابق بالخيرات، وإن استوت منافعه ومضاره فمقتصد، وإن رجحت مضاره على منافعه فظالم لنفسه.

ومثال مضار الأمير العادل بالنسبة إلى منافعه، كمضار الغيث بالنسبة إلى منافعه. لأنه ينبت الزرع، ويملأ الغدر، ولا حياة للعالم إلا به، مع أنه ربما هدم البناء، وربما تأذى به المسافر، وربما نزلت فيه الصواعق، وربما موّج البحر فأغرق السفن، وربما أفسد الذخائر، ولا ينقله ذلك عن كونه رحمة وكونه غيثا، وكونه مباركا.

---

[1] - عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء أبو مروان بن الماجشون 212هـ/ 827م، فقيه مالكي فصيح دارت عليه الفتيا في زمانه، أضر في آخر عمره وكان مولعا بسماع الغناء في إقامته وارتحاله، أنظر خير الدين الزركلي م.س.ذ،ج 4/ص: 160

[2] - محمد بن عبد الله المنصور: (158-169هـ/ 775-785م). ولد: 127هـ/ 744م أنشأ الطرق العامة وحسن جهاز البريد فازدهرت التجارة في عهده، تعقب الخوارج في خرسان ولاحق الزنادقة، حارب البيزنطيين فتوغلت جيوشه حتى أنقرة والبوسفور، أنظر المنجد في الأعلام م.س.ذ، ص: 690.

قال الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا...}،[1] وقال: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ...}[2].

وقال: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ...}،[3] فينبي قليل مضرته كثير منفعته.

وحيث لم يجعل الله فوقك أحدا، فلا ترض أن يكون فوق شكرك له شكر. قال تعالى: { اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا...}[4]. ويروى أن طاووسا[5] دخل على سليمان بن عبد الملك[6] فقال: "أتدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة ؟" فقال: (سليمان) " من هو؟" قال (طاووس): " من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه". فاستلقى سليمان على سريره فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه.

---

[1] - من الآية 9 من سورة ق

[2] - من الآية 50 من سورة الروم

[3] - من الآية28 من سورة الشورى

[4] - من الآية 13 من سورة سبإ

[5] - عبد الله بن طاووس بن كيسان الهمذاني 123هـ/ 750م من عباد أهل اليمن وقضاتهم المشهورين ومن رجال الحديث الثقات. أنظر خير الدين الزركلي المجلد الربع مصدر سبق ذكره.ص:94

[6] - الخليفة الأموي (54هـ/ 674م – 99هـ/ 717م) ولي الخلافة 96هـ، أخلى السجون وأحسن إلى الناس وكان عاقلا، طموحا إلى الفتح، حاصر القسطنطينية وفتحت في عهده جرجان وطبرستان، أنظر خير الدين الزركلي الجزء الثالث م.س.ذ، ص: 180

وأنت أطيب منه أرومة وأحلى منه فرعا، وأولى بتقوى الله، وكان أبوك السبطين[1] سيدنا علي كرم الله وجهه يجمع الخراج من وجهه ويضعه في محله حتى إذا عمرت بيوت أمواله وضع يده فيها بالبذل فلا يمسي وفي تلك الخزائن معلوم.

فيبيت فيها يتعبد لتشهد له، يتململ تململ السقيم، ويبكي بكاء اليتيم أو بكاء الثكلى ويتحرق تحرق الحبة في المقلى، وكان طويل الفكرة، غزير العبرة، ليست له راحة، فكُلِّم في ذلك فقال: **"لا راحة بعدها الموت براحة، ولا لذة بعدها النار بلذة."** وقد بشره الصادق المصدوق وهو يعلم أن ذلك كذلك، فما اتكل، ولا كسل، ولا على غير ما أُمِرَ به عوَّل.

وجعل نفسه في بيوت أمواله كواحد من المسلمين حتى أتاه أخوه عقيل[2] فقال له: **"إن لي في بيت المال أكثر مما أعطيتني"** فقال: **"ليس لك ولا لأهل بيتك إلا ذلك، ولكن إن أحببت أن تكثر أموالك، فاعمد إلى هذه الحوانيت فإن غفل أربابها فكسرها وخذ من الأموال ما تشتهيه"** فقال عقيل: **" أتأمرني أن أكون سارقا؟!"** فقال له: **" أتستحي أن تكون سارقا على الناس وتراودني أن أسرق على الله؟!"**. ثم تركه حتى غفل وقد أحمى مسمارا فوضعه على رقبته، فقال: **"خير! حرقتني يا أمير المؤمنين!"** فقال له علي:

[1] - الحسن رضي الله عنه (3هـ- 50م) و الحسين (4هـ- 61م) أنظر الأعلام لخير الدين الزركلي م.س.ذ، ص:199 الجزء الثالث، وص: 243 من نفس الجزء.

[2] - أخو علي رضي الله عنه (توفي 60هـ- 680م)، أخرج لقتال المسلمين مكرها، أسر فافتكه عمه العباس. أسلم بعد الحديبية، كان صديقا لمعاوية، المنجد في الأعلام، م.س.ذ، 472

"أتتألم من مس مسمار وتعرضني لنار جهنم؟!" فقال عقيل: "لأذهبن إلى معاوية[1] يعطيني تبرا!" قال: " أنت وذاك".

فلما قدم على معاوية أعطاه مائة ألف دينار وأسفاطا من الثياب النفيسة، ودورا وأراضي، وخيلا ودواب، وتحفا ثم قال له معاوية: "إذا صُلي الظهر فقم على المنبر وأذكر صلتي إياك وقطيعة علي". فقال: " لأقولن ما لا أخشى فيه عقوبة الله". فقام على المنبر وأثنى على الله وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "أيها الناس إني راودت عليا على دينه فاختار عني دينه، وراودت معاوية على دينه فاختارني عن دينه.

وقال رضي الله عنه: "كيف أطمئن إلى الخلافة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول" : [ما من وال ولا قاض إلا ويؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله على الصراط ثم تنشر الملائكة سيره فتقرأ على رؤوس الأشهاد، فإن كان عادلا نجاه عدله، وان كان غير ذلك انتفض به الصراط حتى يكون بين كل عضوين من أعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق[2] به الصراط فما يتقي جهنم إلا بمنخره[3] وجبهته][4]

---

[1] - أول خليفة أموي ولد 5هـ وتوفي 60 هـ، اشترك في فتح الشام وولي في عهد عمر وعثمان، وبعد مقتل عثمان اختلف مع أمير المؤمنين علي واقتتل معه في صفين. وتولى الخلافة 41هـ 661م بعد مقتل علي وتنازل ابنه الحسن رضي الله عن الجميع. أنظر الأعلام لخير الدين الزركلي م.س.ذ، ص:261

[2] - ينخرق به الصراط أي يتمزق. المنجد في اللغة م س، ص:175

[3] - المنخر هو الأنف، المنجد في اللغة م .س ، ص:796

[4] - لم أتمكن من العثور على تخريج لهذا الحديث

وعليك بلين الجانب لمن اتبعك من المؤمنين فإن الله قد خص نبيه الأمي به عن كل احد بهذه المنقبة، وليسير بها أولوا الأمر من أمته. قال الله تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ... إلى أن قال: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...}[1] فناهيك به من أدب اختاره الله لخيرته من خلقه حتى انقادت له بسببه جفاة الأعراب الذين هم كالوحش الشارد فانقادوا لدعوته، وصاروا يدا واحدة على نصرته، فتجهبذوا[2] بعد الجهالة، واهتدوا إلى النور بعد الضلالة.

واختاروه على الآباء والأبناء، بل على النفوس فجفوا لحبه الإخوان، ورفضوا الأوطان، فصاروا عنقا واحدا في نصرته، وعضدا مساعدا في معونته، حتى دوخ بهم طود[3] الإشراك، وأنقذ بهم من أراد الله هدايته من درك الارتباك، وما ذلك إلا لما أفاضه عليهم من خلقه العظيم، وما أسداه[4] إليهم من كرمه الجسيم مع الخارق الرباني والآمر الإلهي. قال الله تعالى ممتنا عليه وعليهم: {... لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ...}[5] فأجعل لين الجانب هِجِّيرك[6] مع العلماء والأخيار، والضعفاء والأبرار، والحفاظ، وشدد وطأتك على المنافقين والفجار، لأنهم لا تؤمن غائلتهم.

---

[1] - من الآية 159 من سورة آل عمران

[2] - تجهبذ: أصبح عارفا بتمييز الجيد من الرديء، المنجد م س ،ص:105

[3] - الطود: الجبل العظيم ،المنجد م س، ص:475

[4] - أسدى أي أعطى، لسان العرب لابن منظور، م .س، ص :327

[5] - من الآية 63 من سورة الأنفال

[6] - الدأب والعادة المنجد في اللغة م .س .ص:855

قال الله تعالى لنبيه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...}[1] فأمره بما ليس بطبعه طلبا لنفعه بدفعه، ثم أكده بقوله: {... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ...}[2] أن تُدْخِلهم في أمرك وتُفضي إليهم بسرك.

فلما انقطع الاطلاع على أسرارهم، لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل لأمته علامات عليهم بقوله : [للمنافق ثلاث علامات: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُتُمن خان][3] وقال: [همة المؤمن الصوم والصلاة، وهمة المنافق البطن والفرج]،[4] وقال :[علامة المنافق :قساوة القلب وجمود العين][5].

---

[1] – من الآية 73 من سورة التوبة

[2] – من الآية 4 من سورة المنافقين

[3] – رواه البخاري كتاب الشهادات 28:[آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان] وورواه مسلم كتاب الأيمان

الباب 25 [آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا أُتُمن خان] وورد في سنن النسائي الإيمان، ص:102، ط: 1964،1

[4] – لم أتمكن من تخريج هذا الحديث

[5] – لم أتمكن من تخريج هذا الحديث

(السياسة وحسن التدبير)

واعلم انه لم يبق من ملوك الإسلام من فيه مخائل الغيرة على الإسلام غيرك لضبط الصُّقع الذي أنت فيه، وبعثك بالأموال إلى الحرمين، وصلتك شرفاء الينبوع،[1] ومواصلتك الإمام الصنعاني،[2] وفتحك البريجة،[3] وحصرك مليليه،[4] وإقامتك الموسم وسدك الثغور،[5] إلا أني أتمنى أن تجعلها منفصلة عن

---

[1] - رتب السلطان لأهل الحرمين الشريفين وشرفاء الحجاز واليمن مائة ألف مثقال في السنة، انظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى م. س. ذ. الجزء السابع ،ص:70.

[2] - لعله محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني أبو إبراهيم عز الدين المعروف كأسلافه بالأمير، مجتهد من بيت الإمامة في اليمن ولد 1099هـ/ 1688 وتوفي في صنعاء 1182هـ/ 1768 أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام، له مائة مؤلف منها."توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار" و"سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني " انظر الأعلام للزركلي،ج 6،ص:38.

[3] - كانت البريجة تعرف بمزغان وهي اليوم تعرف بالجديدة وتقع على المحيط الأطلسي على بضع كيلومترات إلى الجنوب من مصب أم الربيع،كانت أيام محمد بن عبد الله تحت سيطرة البرتغال. وكان فتحها 1768. انظر الاستقصا م. س. ج .8.ص:40

[4] - تقع مليلية في شمال شرق المغرب في إقليم الناضور على الهامش الشرقي من رأس الشعب الثلاثة على البحر الأبيض المتوسط وعلى بعد خمسين كيلومترا غرب الحدود الجزائرية، لا تزال حتى اليوم محتلة من طرف اسبانيا، حاصرها محمد بن عبد الله 1771 ورفع عنها الحصار بعد أن ذكّره الملك الاسباني بعقد هدنة بين البلدين وقعاه منذ فترة. انظر الخريطة 17من المنجد في الأعلام والاستقصا، ج 8، الصفحة :40 وهما مرجعان سبق ذكرها.

[5] - وضع محمد بن عبد الله حاميات عسكرية في العديد من الثغور، الصويرة: 2500 جندي ،آسفي:400 ، وتيط:500 ، وآزمور: 500، والعدوتين: 2000، والمهدية: 2500، والعرائش:

البحر قليلا، لأن أهل الإسلام في البر أقوى منهم في البحر، والروم في البر أذل منهم في البحر، لأنهم وعول أقوياء في السفن والحصون، أذلة على متون الخيل وبراء الفضاء.

أما خاقان[1] فإنه بلغنا على ألسنة الواردين علينا من المشرق أن أمره دخله الوهن لأنه جعل أرباب المراتب كلها مماليك، وعزل قومه. وذلك سبب وهن بني العباس حتى استولت مواليهم وعبيدهم من الأتراك على دولتهم.

بلغنا أيضا أن الموسك،[2] أذلهم الله! تغلبوا على جل مملكته التي بينه وبينهم وذلك أنهم كلما أخذوا مدينة أو ناحية، وأراد غزوهم خذله وزراؤه ومفتوه لأجل الرشى التى كانت تأتيهم من النصارى برسم تثبيط الإمام عنهم، لأنهم ليس لهم في الإسلام عظيم نية، وما علموا انه خطب قليل في خطب جليل.

وأما الكرغليه[3]فخيرهم أهل الجزائر أعني جزيرة بني مزغناي.[1] ولا طائل عندهم إلا منع جزيرتهم. ويدل على ضعف هممهم مجاورتهم لقرية

1500، وآصيلا والساحل: 200، وطنجة: 3600، وتطوان: 800، وآنفي: 2000 فكانت جملة العساكر بالثغور 16500. آنظر الاستقصا ج8 م .س .ص:61

[1] - لعله يقصد السلطان العثماني كما يشير السياق

[2] - الموسك أو الموسكوف كلمة تعني في اللهجة التركية الروس على العموم .انظر: كتب الشرقيون . م .س .ذ، الهامش :1، ص:52.

3 - الكرغلية أو الكراغلة :هم طائفة من سكان مدينة الجزائر وينتمي إليهم كل من أبوه تركيا وأمه من الأهالي الجزائريين .انظر تاريخ إفريقيا الشمالية م .س. ذ، ص :338.

وهران[2]. وما فلوها ولا حاصروها فيعذرون ومعهم من العرب وزواوي[3] ما لو شاءوا لتخطفوا وهران مدرة مدرة. لكن قلة عدلهم وإنصافهم أفسد عليهم قلوب العرب وغيرهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[إذا ضعفت العرب ضعف الإسلام][4]وإني أخاف على دولة الأتراك من الزوال بسبب العجب والكبر، وتهاونهم بالعرب، لأن التهاون بالعرب من علامة خراب القلب، من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم قومه وأصله. قال صلى الله عليه وسلم:[خلق الله الخلق فاختار منهم بني آدم، ثم اختار من بني آدم بني سام، ثم اختار من سام العرب، ثم اختار من العرب بني كنانة، ثم اختار من بني كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بني عبد مناف، فلم أزل خيار من خيار

---

1 - يعني مدينة الجزائر وقد بنيت في الأصل من طرف الأمير الزيري ابلوكين في النصف الثاني من القرن العاشر وذلك على أنقاض مرسى روماني قديم استوطنته قبيلة مزغنا البربرية، وقد استعارت المدينة اسمها من جزر المرسى الصخرية الأربع .انظر:تاريخ إفريقيا الشمالية م .س.ذ، ص:325.

175- مدينة وميناء هام في الجزائر، أسسها تجار من عرب الأندلس في القرن العاشر الميلادي. استرجعها الإسبان 1732 ثم عادت إلى ايالة الجزائر 1792 وأصبحت عاصمة بيليك الغرب. انظر المنجد في الأعلام، ص:744، وتاريخ افر يقيا الشمالية، ص:377 و380 . م .س. ذكرهما

3 - لعل المقصود قبيلة زواوة البربرية. انظر في شأنها تاريخ افريقيا الشمالية، م .س.ذ، ص:341.

4 - عثرت في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني على حديث بمعناه رقم :163: [إذا ذل العرب ذل الإسلام]، وقال: الألباني:"موضوع"، رواه أبو نعيم في أخبار اصبهان 2/ 340، وذكره ابن أبي حاتم في العلل 2/ 376، وقال الهيثمي، والكلام دائما لألباني، رواه أبو يعلى وفيه محمد بن الخطاب البصري ضعفه الأزدي وغيره ووثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح"

حتى يكون من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن ابغض العرب فببغضي أبغضهم][1]

وإن الكبر والإعجاب يسلبان الفضل ويكسبان الرذائل إذ الكبر يجلب الذل لخبر اقسم الله أنه لن يُميت المتكبر حتى يريه الهوان.

قال الشاعر:

إن التكبر للإنسان مهلكة ومن تكبر بالمطلوب ما ظفرا

وإن الله مدح نصارى الحبشة ونجران وبعض بطارقة الروم بقلة التكبر. فقال الله سبحانه وتعالى: {... ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ }[2] فقادهم تواضعهم إلى الإسلام فزادهم الله بذلك عزا إلى عزهم وأجرا إلى أجرهم.

وأما هرقل[3] فإنه لما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أخوه يناق[1] ناولني الكتاب، قال : ما تريد بذلك ؟ قال: أريد أن أمزقه لأنه

---

[1] - ورد في نوادر الأصول للترمذي الأصل 67 مع اختلاف في بعض الألفاظ .وورد في المستدرك للحاكم 4/ 86 باختلاف في بعض الألفاظ كذلك.

[2] - من الآية 82 من سورة البقرة

3 -)- امبراطور بيزنطي (610 م- 641 م)عرف عهده حروب كثيرة ، وتطورات جذرية في الشرق، تقدم الفرس فأحتلوا أنطاكية 616 ولقدس 614 ومصر 619. واقترب الأفار من القسطنطينية 617. أمده البطريرك سرجيوس بالمال فنظم الجيش ورد الأفار، ثم حمل على الفرس فردهم - إلى ما وراء الفرات واحتل تبريز واسترد الصليب (622- 630) وعندها بدأ الفتح العربي فانكسرت جيوش هرقل، وخسرت الإمبراطورية سورية وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ومصر (634- 642). انظر المنجد في الأعلام م .س. ذ، ص: 727.

بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ولم يذكر لك ملكا. فقال هرقل :"والله انك لأحمق صغير، مجنون كبير، تريد أن أمزق كتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر! لئن كان نبيا كما يزعم لهو أحق بأن يقدم نفسه علي، وأما قوله صاحب الروم فما أنا إلا صاحبهم والله مالكي ومالكهم، ولكن الله سخرهم لي، ولو شاء لسلطهم علي فقتلوني، كما قتلت فارسٌ كسرى[2].

ثم أمر الترجمان فقرأ الكتاب. فلما قرأه وأخبره بما فيه أخذه من يده فجعله على عينيه ثم وضعه على رأسه، ثم أمر به فجعل في مِقْلمةٍ من ذهب وختم عليه بالمسك. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع بكتابه قال :[**أما هذا فقد أحرز ملكه ولا تزال أمتي تكابد منهم شدة حتى تكون هلكتهم بين يدي الساعة**][3].

وأما كسرى فتكبر عن الدعوة فمزق الكتاب كل ممزق، وذهب ملكه بالكلية فلم يبق له ملك في جميع الأقطار. وبلغنا أن سبب ذهاب دولة بني أمية التي بلغت مشارق الأرض ومغاربها أنفة مترفيها عن قبول المواعظ :

---

1 – أو ابن أخيه، انظر أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، الطبعة الثانية، دارالعلم للملايين بيروت 1976، ج2، ص: 267

2 – هو يزدجرد الثالث (632-651) حكم في فترة فوضى، واجهه العرب الفاتحون وانتصروا عليه في القادسية ونهاوند 635 و642 وانتهى أمره بالاغتيال انظر المنجد في الأعلام م. س. ذ، ص:656.

3 – ورد في البداية والنهاية لابن كثير الجزء الرابع ص:271 ما نصفه :"قال الشافعي : لما أتى كسرى بكتاب رسول الله (ص)مزقه فقال :رسول الله (ص): [**يمزق ملكه**]، وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه في مسك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ثبت ملكه].

والإخلاد إلى اللذات والشهوات، ولبس الحرير والذهب، وشرب الخمر، والإعراض عن الأخبار، والاعتماد على القوة. فاستدرجهم الله بذلك حتى أخذهم بغتة من حيث لا يشعرون. فقال مروان الحمار[1] حين أيقن بالغلبة: يا لها من دولة ما نُصرت! ونعمة ما شُكرت! فقال له وزيره كميل وكان من أبناء بطارقة الروم: "إن الذي فعل ما فعلت يصيبه مثل ما أصابك". فقال: "وما ذاك؟"

قال : "من أهمل الصغير حتى يكبر، والكامن حتى يظهر، والجريح حتى يندمل، والكسير حتى ينجبر، ويترك سياسة أمره اعتمادا على قوته، وقهره. يقصي العالم الفاضل، ويدني النذل الجاهل، ويشتغل بشهواته عن قوام مروآته، ويأمن الدهر وعثراته، ويطلب المدد بلا سبب، والزيادة من غير طلب. لأن هذه الأمة كانت أضعف الأمم، وإنما نصرها الله وأظهرها بإقامة دينها، فعلى قدر ما اختل من دينها يقع الهوان في دولتها.

فلما قتل فر ابنه في كوكبة من خيله حتى دخل بلاد النوبة[2] فأتاهم ملكها حافيا، حاسرا، فاقتحمته أعينهم، وازدروه لبذاءته، فإذا خيله قد

---

[1] - هو مروان بن محمد (72هـ/ 692- 132هـ/ 750م) آخر الخلفاء الأمويين في الشام، ولد في الجزيرة، بويع له بالخلافة في دمشق. أوقع بالخوارج وقضى على خليفتهم الضحاك بن قيس الشيباني 747، هزمه العباسيون في معركة الزاب وقتل بالغرب من بوصير (مصر). يعرف بمروان الحمار لجرأته في الحروب وبالجعدي نسبة إلى مؤد به الجعد بن درهم. المنجد في الأعلام م. س. ص :656

[2] - منطقة افريقية تمتد على شاطئ النيل بين اسوان ودنقلة (السودان) تنقسم إلى النوبة السفلى وهو الجزء الواقع في مصر بين أسوان ووادي حلفا. نقلت آثارها حفاظا عليها من مياه السد العالي. والنوبة العليا وهي المناطق الواقعة في السودان. ازدهرت في عهد الفراعنة بفضل

سدت الأفق، فعرضوا عليه الجلوس على فراشهم فقال: "لا يحل لي ذلك، ولو رضيته لنفسي لوجدتموه عندي معدا، وإن الملك ينبغي له أن يتواضع لعظمة الله حيث رفعه الله على خلقه، وأتمنه على دينه، وجعله نائبا في إنفاذ أمره ونهيه. ثم قال لهم: "من انتم"؟ فقالوا: "نحن قوم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن اختصهم الله بكتابه وكريم خطابه."

فأطرق ينكت في الأرض ثم قال لهم: "فحيث جعلكم الله قوم نبيه، واختصكم بكتابه وخطابه، فلم عصيتم أمره، ولم تخشوا صولته وقهره؟ أليس قد حرم عليكم لبس الحرير والذهب؟" فقالوا: "لما قل ناصرنا كانت لنا أتباع من العجم حملونا على لبس الحرير والذهب". فقال لهم : "لو نصرتم الله لأغناكم عن نصرة غيره، بل انتم قوم كرمكم الله بطاعته، فاشتغلتم بمعصيته، فسلبكم أمداد رحمته، ومنعكم زوائد نعمته، فأنزل عليكم نقمته وسلبكم ثوب العز الذي كساكموه بسبب طاعته.

وما أرى عقوبته إياكم قد نفدت، والضيافة ثلاثة أيام فتزودوا من أرضي وانصرفوا فإني أخشى أن يصيبكم عذاب الله ببلدي فيصيبني معكم. فمن أقام منكم بعد ثلاثة أيام ضربت عنقه."

الطرق التجارية المؤدية إلى السودان ومناجم الصحراء. شيد فيها فراعنة السلالة السادسة عشر عددا من المعابد والمعسكرات، تأسست فيها المملكة الكوشية في القرن الثامن، أصبحت مروة عاصمة لها 300 ق. م، اعتنقت المسيحية فنشأت دولة أكسوم ودنقلة، ثم اعتنقوا الإسلام .انظر المنجد في الإعلام م . س.ذ ، ص :715

فأمر قومه أن لا يمنعوهم شيئا أرادوا أن يتزودوا به مدة الأيام الثلاثة. فلما رأوا ذلك اطمأنوا، وأقاموا، أكثر من الثلاثة التي جعل لهم. فأخذهم وقتلهم صبرا فلم ينج منهم إلا عبد الرحمان الداخل.[1]

واعلم أن السلطان على قسمين :سلطان مُلْكٍ وسلطان هُلْكٍ. أما سلطان الملك فرأسه الملك، وقلبه الوزير الصالح الناصح، وعيناه الرأي والتوأدة، ولسانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعضداه الحزم والعزم، وصلبه سياسة الأجناد بالجد والاجتهاد، وبطنه جباية الأموال من غير إسراف، ولا تفريط بل بالإنصاف، وعدم الإسراف، ورجلاه التي يمشي بها استعمال الكتاب والسنة، وطعامه الذي يتقوت به وتقوم به بنيته التفقه في الدين، وشرابه الذي يلم شعثه، ويزيل عطشه العمل لله على نية وبصيرة، وخمرته التي ينتشي بها حب الله وحب رسوله وأهل بيته، وكافة أصحابه ومن تبعهم إلى يوم القيامة.

وبيته الذي يَكُنُّه[2] الصيانة ورعاية الشرف، والتخلق بأخلاق السلف، وحصنه الذي يُحرزه من عدوه الصبر والمصابرة المقرونان بالتقوى. قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**.[3] فجعل الفَلاح من وراء المراتب الثلاث.

---

[1] - عبدالرحمان الداخل بن معاوية بن هاشم بن عبد الملك بن مروان الملقب بصقر قريش (113هـ/ 731م-172هـ/ 788م)، ويعرف بالداخل الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس وأحد عظماء العالم. انظر الأعلام لخيرالدين الزركلي ج ،3 ص: 338.

2 - كَنَّ كنًّا وكانونا الشيء ستره في كنه وغطاه وأخفاه وصانه من الشمس .النظر المنجد في اللغة م . س .ذ، ص: 699.

3 - الآية 200 من سورة آل عمران

أما سلطان الهُلْكِ فرأسه الملك المسرف الفظ المعنف، وقلبه الوزير المفرط الغشوم، وعيناه الاستبداد بالرأي والإعجاب بالنفس، وعضداه الظلم والجور، وصلبه سياسة الجند بالتفسق وعدم الإنصاف، وبطنه جباية الأموال بالإسراف وعدم الإنصاف، لا يخافون عقوبة، ولا يخشون عقابا، ولا يستعملون في ذلك سنة ولا كتابا، ورجلاه اللتان يمشي بهما الاقتداء بالأكاسرة والقياصرة، وطعامه قصص الجاهلية، وشرابه بغض السلف وترك الرفق[1] بالخلف، خمرته حب الجاه وعدم الكف والتناهي.

فهذا لا يبقي ولا يذر: جنده مهزوم، وطوده مثلول، وملكه مخذول، ودم الصالحين في ذمته مطلول،[2] ومدته قصيرة، وأيامه حقيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن الله يبقي على الشرك ولا يبقي على الظلم].[3] قال الله تعالى : {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا...}[4] وقال تعالى : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ - أي بشرك - وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ }[5] أي فيما بينهم. يروى أن العزَّ فخر على الذل فقال :"أنا أشرف منك" فقال له الذل : "أقم ما شئت فإنك لا تقيم في دار ليلة إلا أقمت فيها أربعين ليلة".

1 - "الرفق": هذه الكلمة لم تكن موجودة في النص الأصلي، محلها كان شاغرا في النسختين المعتمدتين. اجتهدت في اختيارها لانسجامها مع السياق العام.

2 - طل وطل طلا الدم : هدر أولم يُثأر له، فهو طليل ومطلول .المنجد في اللغة م .س. ذ،ص: 468.

3 - لم انجح في العثور على تخريج لهذا الحديث

4 - الآية 52 من سورة النحل

5- الآية 117 من سورة هود

واجعل أيها الأمير الآخرة أقرب إليك من الدنيا تصلحان لك معا، وان الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا. واعلم أن الزرع إذا ابيض فقد دنا حصاده. قال الشاعر :

إذا الرجال ولدت أولادها وجعلت أمراضها تعتادها تلك زروع قد دنا حصادها

واعلم أن موت الملك كموت السوقة، وموت الغني كموت الفقير، والقبر أول ما يظهر من عدل الله، لأن العظام إذا نخرت لا يُفرق بين الشريف والمشروف.

يروى أن بعض ملوك السلف، كتب في بطاقته كلمات وجعلها في جيبه فكلما غضب نظر إليها، وإذا نظر إليها سكن غضبه. فسأله بعض خاصته عما فيها، فأخبرهم فإذا هو قد كتب فيها بيده: انك مخلوق غير خالق، ومرزوق غير رازق، ومغلوب غير غالب، ومسلوب غير سالب، فإن حملتك قدرتك على الانتقام فاذكر قوة من هو أقدر عليك منك عليهم. ولا تنسى مصرعك حين لا يغني عنك مالك ولا خَوَلُك[1] شيئا فتبقى أسير عملك. ولا يبقى بغير الله تعلق لأملك[2] وينتقل ما كنت تتعزز به إلى غيرك.

و إن كانت همتك قد تعلقت بهذا المُعَيْدِن[3] فاعلم أنه قد دثر وذهب أثره. وكانت سيرة ملوك صونغاي[1] أن يجعلوا عليه أمينا، أي أمين يتحرونه

---

[1] - الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية . المنجد م .س .ذ، ص: 199

2 - "ولا ملك "في النص الأصلي.

3 - لعله معدن ملح تاودني أو ملح تغازه.

فيخلي بينه وبين الناس، ونفقته وأعوانه تأتيه من البحر[2] يحملها إليه من لا يحمل الملح.

ويأخذ الثلث من كل ما قُطِع من الملح، ثم لا يباع شيء من الملح حتى يباع ملح السلطان فيأخذ السلطان خراجه، ثلاثون ألفا، وما بقي يتولاه أمينه. يعطي منه قِيَمَ الزروع المحمولة إليه، وكراء الدواب الحاملة، ثم شأنه بما بقي يفعل فيه كيف شاء. إلا أن الثلاثين ألفا لا ينقص منها شيء.

غير أن الملح حينئذ غال لعمارة التكرور[3]وكثرة أهله، وكمال عدله، وأمن سبله، وكثرة الغنى في أهله. فلما ذهبت دولة السودان، إنعكس الأمر، فتسلطت الأعراب، وكثر الخراب، وكسد الملح. وبذهاب دولة الرماة،[4]قلت فائدته وذهبت عادته. أما سيرة أسلافك فأنت أعلم بها فإن أردت أن تعمرها بعد الدثور فابعث إليها أمينا فإن الأمانة تصلح الديانة، وتبسط الرزق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إذا أراد الله بقوم نماء فتح عليهم باب

---

1 - شعب يقطن منطقة عقفة نهر النيجر بنى دولة عظيمه استمرت من 1493 م إلى 1591 انظر Joseph Ki-zerbo, Histoire de l'Afrique noire, d'hier à demain, libraire A. Hatier, Paris 1972, p. 145

2 - البحر هنا هو نهر النيجر ذلك أن أهل المنطقة يدعون النهر بحرا.

3 - امبراطورية قديمة مسلمة حلت محلها دولة افوتا تورو. انظر Adma Gnokane, Le Fouta Toro du XVIeme au XIXieme siècle essai de synthèse, dans l'Histoire de la Mauritanie, Université de Nouakchott, Université de Provence, NKT 1999, P : 159

4 - أحفاد حملة الباشا جوذر التي احتلت دولة الصونغاي 1591

الأمانة، وإذا أراد الله بقوم اقتطافا فتح عليهم باب الخيانة][1]. ومن ائتمن خائنا فقد ظلمه.

قال الشاعر:

لقد ظلموك حين سموك سيدا ... كما ظلم الناسُ الغراب بأعور

والخيانة تسد الباب، وتفسد الألباب، وتوجب الخراب، وتفرق الأصحاب. قال الله تعالى: {... يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }[2] وقال: {... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...}[3] ولاحظ للخائن في التقوى.

واعلم أيها الأمير أن الملح لا يحل تحجيره على أحد لقوله صلى الله عليه وسلم: [ثلاثة الناس فيهم سواء: الماء والملح والنار][4]

1 - "خيانة" في النص الأصلي

2 - من الآية 26 من سورة القصص

3 - من الآية 2 و3 من سورة الطلاق

4 - ورد في سنن أبى داود الزكاة 35 عن عائشة رضي الله عنها قالت: " يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه ؟" قال: [الماء والملح والنار]. وفي الزوائد ضعيف، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات .

(أخذ الزكاة من اللصوص والظلمة)

أما قولك: "وما حكم أخذ ذوى الجاه للزكاة من اللصوص والظلمة وغيرهم"، فالجواب أنه لا زكاة. ذلك أن[1] التِّبَاعَةَ[2] قد استغرقت أموالهم وذممهم فلا يصح (إذن) أن يزكوا ما ليس لهم. وأخذ المزكي[3] ذلك منهم عون لهم على فسادهم، وإغراءً لهم على فسقهم وظلمهم وعدوانهم، اللهم إلا أن يكون أخذ ذلك على وجه استخلاص ذلك القدر من حقوق الفقراء والمساكين فيأخذ منهم حصته إن كان فقيرا، وإلا حرم عليه أخذ شيء منه، ووجب عليه تسليمه للفقراء والمساكين.

ولقد رأيت في بعض مصنفات المواق[4] أن فقهاء طليطلة[5] قد أسقطوا الزكاة عن الظلمة والجورة من سكان جزيرة الأندلس[6] زمن العباديين[7] فأنكر

---

1 - "ثم لأن" في النص الأصلي.

2 - التباعة أو التبعة وهي ما نطلبه من ظلامة ونحوها. انظر سعدى ابو جيب، القاموس الفقهي لغة و اصطلاحا، دار الفكر ط1، 1402 هـ – 1982م ، ص: 48

3 - إسم فاعل من زكَّى بمعنى طهَّر، والله أعلم

4 - محمد بن يوسف الموافق (897 هـ/ 1492 م) فقيه مالكي، كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته، له: "التاج والإكليل في شرح مختصر خليل، و"سنن المهدين في مقامات الدين. انظر :الأعلام لخيرالدين الزركلي م .س.ذ، ج 7 ص :154

5 - مدينة في أواسط اسبانيا قرب مدريد فتحها طارق بن زياد 714 استردها الفونس ملك قشتالة 1085. بها آثار عربية ضخمة . انظر: المنجد في الاعلام ، م .س .ص :437.

6 -إسم عرف به جنوب إسبانيا بعد أن احتلها الفاندال حيث أخذ عنهم إسمه

7 - كانت في النص الأصلي: "العبيديين" و هي نسبة إلى بني عباد الأسرة التي حكمت إشبيلية (1023– 1091م) أنظر المنجد في الأعلام، م .س.ذ، ص :445

عليهم ذلك فقهاء غرناطة[1] فناظروهم وقالوا: "لم أسقطتم عن هؤلاء الظلمة والسلبة الزكاة؟ فقالوا: "لأن التباعة قد استغرقت اموالهم". فقال لهم فقهاء غرناطة : "أليس النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله حين بعثه وعامة أموال الناس من الغصب والغارات، وثمن الخمر والميتة والربا، وثمن البغي، فأجرى الزكاة في جميع تلك الأموال؟ فأجابهم فقهاء طليطلة بأن المسألتين متباينتان فلا نسبة بينهما لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله فهدَم بالحقِ الباطلَ، وجدهم غير مخاطبين بالفروع الشرعية في نفوسهم ولا أموالهم، فأسلموا فطَهُروا من نجاسات الشرك، وطهُرت أموالهم مما كان قد خامرها من الخبائث. فاستأنف عليه الصلاة والسلام الأحكام الشرعية فوضعها على أموال قد طهرت بإسلام أهلها كما طهُر أهلها بإسلامهم كما يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام : **[الإسلام يجب ما قبله]**[2]

و أما هذه فأموال أهلها مخاطبون بالأحكام الحقيقية، والفروع الشرعية، فاستغرقت أموالهم بالتباعات فصارت الأموال لغيرهم من غير علم بنصيب كل فرد من مستحقيها فسقطت عنهم زكاتها لعدم ملكهم إياها إذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا. فسلَّم فقهاء غرناطة لفقهاء طليطلة، واعترفوا بفقههم ووسع باعهم في العلوم. فمن يومئذ سقطت الزكاة عن الظلمة والسلبة واللصوص من أهل الأندلس. إلا أن العباديين يأخذونها منهم قسرا على وجه التملك والاستحقاق والغلبة. فهذا سبيل أموال الظلمة والسلبة.

---

1 - مدينة إسبانية إحتلها المرابطون 1090 وعاصمة بني الأحمر(1235-1492)، انظر: المنجد في الأعلام ، م .س.ذ، .ص:505.

2 - ورد في مسند أحمد 4/ 199 و204 و205: **[يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها]** .

المصادر والمراجع

1. الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد مخطوط في زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي في نواكشوط.
2. الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، نفس المصدر، تحقيق يحيى ولد سيدأحمد: دار المعرفة
3. الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، نفس المصدر، تحقيق عابدين بن باب احمد حم الأمين للمطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني 1994
4. أبو عبد الله الطالب محمد بن بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي في بيروت 1981م .
5. الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان، وقف على طبعه السيد هوداس، paris librairie d'Amérique et d'Orient , Adrien Maisonneuve 1964.
6. الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية الدكتوران محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي في بيروت 1983م .
7. الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري،ج: 9، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذين جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء 1954 .
8. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج:1، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بيروت 1987

9. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج: 15 دار صادر بيروت.
10. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي معجم البلدان، ج:5، دار صادر بيروت 1977م .
11. محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس مكتبة لبنان، ط: 2، 1984 م.
12. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج: 8 ، ط: 10، دار العلم للملايين بيروت، لبنان 1992 م
13. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ج: 4، شرح وتصحيح وتحقيق محب الدين الخطيب، ط: 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1400هـ -1980م
14. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج: 5، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية 1980م
15. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، ج: 2، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر بيروت 1980م
16. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، ج: 2، دار الحديث القاهرة 1988 م
17. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، سنن ابن ماجة، ج: 2، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
18. الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، سنن النسائي، ومعه زهر الربى على المجتبى، للحافظ الجلال السيوطي، ج 8، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1964.

19. الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين، ج 10، مكتبة ابريل في مدينة ليدن 1936 م

20. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب، ج: 4، تعليق مصطفي محمد عمارة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط:3، 1966.

21. الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج: 2، مؤسسة مناهل العرفان بيروت.

22. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ومعه المغني عن حمل الأسفار، لأبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين العراقي، ج: 4، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1939

23. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مكتبة التراث الإسلامي حلب سوريا.

24. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، المكتب الإسلامي، ط:5، 1985.

25. أبول مارتي كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت دمشق، 1985.

26. دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضع محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة الكتب المصرية القاهرة.

27. شارل آندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد امزالي والبشير بن سلامة، ط: 2، الدار التونسية للنشر، 1983

28. دار المشرق، المنجد في اللغة، ط27، ومعه المنجد في الأعلام، ط: 13، دار المشرق بيروت، 1986

29. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1979

30. الإمام احمد بن حنبل، مسند الإمام احمد، ج: 6، ط1، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1969 .

31. أبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

32. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور، نسخة اطلعت عليها في مكتبة العرفان في نواكشوط لا تحمل دار النشر ولا تاريخه.

33. أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار الفكر بيروت

34. أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين في الحديث، دار الفكر بيروت 1978

35. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس مكتبة لبنان، ط: 4، 1984

36. أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج: 14، دار ابن كثير بيروت

37. الدكتور جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج:10، ط: 2، دار العلم للملايين بيروت، 1976

38. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت

39. Histoire de la Mauritanie essais et synthèses, Université de Nouakchott Faculté des lettres lerhi, Université de Provence Ain Marseille I IHCC , IREMAM, Nouakchott 1999.

40. Michel Abitbol, TOUMBOUCTOU ET LES ARMA, de la conquête marocaine du Soudan Nigérien en 1591 à l'hégémonie

de l'Empire peulh du Macina en 1833, G.P. Maisonneuve et larose 15, rue Victor Cousin, Paris 1979.

41. Joseph ki-zerbo, Histoire de l'Afrique , d'hier à demain Hatier Paris 1972

42. Abderrahmane ben abdallah ben imran ben amir Es–sa'di TARIKH ESOUDAN traduit de l'arabe par D. Houdas professeur à l'école de langues orientales vivantes, Paris librairie d'Amérique et d'Orient, A .Maisonneuve 1964 .

فهرس

هاته الرسالة وثيقه تاريخية تسلط الضوء على منطقة مهمة، تعتبر امتدادا حضاريا لموريتانيا من جهة الشرق، وحلقة وصل بينها وبين بلاد السودان المجاور، وهي منطقة أَزَوَادْ التي كانت مسرحا في ذلك الوقت لأحداث مهمة، لها تأثيرها على تاريخنا الوطني، كما تسمح بتقدير مدى قوة أو ضعف العلاقة التي كانت قائمة يومها بين المنطقة المذكورة خاصة والصحراء وبلاد الساحل عموما مع الدولة المغربية.

كما أن الرسالة تضيء جانبا آخر مجهولا حتى اليوم من طرف الكثيرين من جوانب شخصية تعتبر رمزا وطنيا من رموز العلم والثقافة والفكر: الشيخ سيد المختار الكنتي.